موازنات بلاغية بين استلزم المعاني واقطضاءات الفاصلة
"سورة الناس نموذجا"

أحمد عوض عبد العزيز قطب
المدرس بقسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بأسوان - جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: ahmedkotb.47@azhar.edu.eg

اللخص:

يقوم البحث على بيان ما تقضيه الفاصلة القرآنية من المعاني في حالة الوقف عليها بالرغم من ارتباطها بالإعراب مع الآيات التي يقبلها أو بعدها. وذلك من خلال الموازنة بين حالة المعنى في هذا الاقطاء وثبي تجاذب العلاقة الجامعة بين الآيات إعرابياً ومعنويًا، وكل هذا في ظل التكامل المعنوي لخدمة المعنى الأم للسورة القرآنية، وقد وقع الاختيار على سورة الناس نموذجا لهذا البحث؛ لكون سورة الناس تمثل بمجموعها جملة واحدة إعرابياً، ولكنها مكونة من ست آيات كريمات، وقد قسمتها أسلوبياً إلى قسمين: الثلاث الآيات الأولى وتجمعهم علاقة العموم والخصوص، والثلاث الآيات الأخرى، وتجمعهم علاقة الإجمال والتفصيل، وكان كل قسم أسلوبياً من هذين القسمين يستلزم معنى واحدًا فاستلزم القسم الأول كونه تعالى مستعذباً به، كما استلزم القسم الثاني كونه مستعاذاً منه، وكل القسمين منشقات من رحم المعنى الأم للسورة وهو: الاعتصام والان التجاء بالله من كل شر خفي، وكل آية في كل قسم تمت فاصلة قرآنية تقتضي من المعاني ما يخدم المعنى الأم للسورة، فالثلاث الآيات الأول في معنى استلزم كونه مستعذاً به داخل علاقة العموم والخصوص =تقضي كمال التطرف والتربة، وكمال النفع والقدرة، وكمال التضرع والقرب، أما الثلاث آيات الأخرى في معنى استلزم كونه مستعذاً منه داخل علاقة الإجمال والتفصيل فتقضي كمال الحذر من جنسه، وكمال الحذر من فعله، وكمال الحذر لتعبد جهته.

الكلمات المفتاحية: موازنات، استلزم، اقتضاءات، الفاصلة، الناس.
Tahammul and Ada’ in the Teaching of Grammar
Abu Ali al-Farisi as an Example
Abdulaziz Nasir alKharayif
Dept. of Arabic Grammar, College of Arabic, Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University- Kingdom of Saudi Arabia
Email: ahmedkotb.47@azhar.edu.eg

Abstract
This paper studies methods of tahammul (taking knowledge from one’s predecessors) and ada’ (transmitting knowledge to students) in teaching grammar and morphology through following instances of their occurrence and the terminology involved in their usage in the works of Abu Ali al-Farisi (d. AH 377) that have come down to us. This is then compared with what scholars have accepted in an effort to establish grammarians’ sources and the way in which they benefitted from other scholars. Abu Ali al-Farisi’s methodology in this regard is discussed as is his influence on his students. The paper concludes that Abu Ali al-Farisi relied on direct transmission from his teachers both orally and through written texts more than through any other mode of transmission. For the most part, he adhered to the meanings of the terminology of those methods. His methodology influenced his students who followed in his footsteps in their own books.

Keywords: tahammul, ada’, Abu Ali al-Farisi, oral transmission from scholars, reading the works of scholars.
قدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن من المسلمات في القرآن الكريم كون الوقف على فواصل الآيات أمرًا توقفيًا ووحياً من عند الله - سبحانه وتعالى - تعلمه النبي صلى الله عليه وسلم من الله وحياً، وعلمه لأصحابه من كتبة الوحي ونقله إلينا تواتراً التابعون من بعدهم بالصورة التي عليها المصحف الشريف إلى يومنا هذا؛ وهناك كثير من فواصل آيات القرآن الكريم يظهر فيها الارتباط الإعرابي، كان تكون الآيات جملة واحدة فصلت بينهما الفاصلة القرآنية؛ فالآيات مع بعضهما يستلزمان معنى يخدم السورة، وكذلك الوقف على الفاصلة ينتهي معنى يخدم السورة أيضًا وذلك على وجه التكامل، إلا أن هذا دقيقه ولطائف بين المعنيين: في حالة الوقف على الفاصلة، وفي حالة الوصل بين الآتيين؛ كما يوجد ذلك في الآية الواحدة فيما يقف فيه القاري على بعض الآيات لوجود الوقف الجائز الذي يجوز معه الوقف ويؤجل معه الوصل، وفي حالة الوقف يفهم منه معنى، وفي الوصل يفهم منه معنى آخر، وكل هذا ليس بعيد عن مقصود السورة، فمثلاً في قوله - تعالى: أَلَمْ يَقُولَ الَّذِيَاتُ لَلَّذِيْنَ يَفْئِيُونَ الْيَوْمَ الْأَخِرَ (1) الوقف على قوله - تعالى: أَلَمْ يَقُولَ الَّذِيْنَ يَفْئِيُونَ الْيَوْمَ الْأَخِيرَ بنصر الله

(1) سورة: غافر آية: 16.
استفهمها، فإذا عاد ووصل الآية في قوله - تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَوْمَ الْوَحِيدِ أَنْفَهَ"، كانت الإجابة على الاستفهام السابق وهكذا، أما إذا كان الوقف فاصلة قرآنية توقفية، فإن الحاجة إلى معرفة ما تقتضيه هذه الفاصلة من المعنى أروح خاصة إذا كانت الصلة بين الآيتين صلة إعرابية فهما جملة واحدة كما في قوله - تعالى: "لا نقول ليشان، فإنا لأجل ذلك عد، إلا أن بسا الله، ولا ليشان"، فالآيتان جملة إعرابية واحدة يربطهما الاستثناء، ومع ذلك جاءت بينهما الفاصلة، فكان الوقف على الفاصلة يقضي معنى، والوصل يستلزم معنى آخر، وكلاهما متصل بمقصود السورة؛ فمن هنا كانت فكرة البحث هذا الذي عنون له: "موازنات بنائية بين استندرام المعاني واقترنت الفاصلة سورة الناس تموذجا"، الوقف على المعنى في حالة الوقف على الفاصلة، وحالته في الوصل بين الآيتين موانينة بينهما، مع اتخاذ سورة الناس نموذجا لهذه الدراسة باعتبارها تمثل جملة واحدة إعرابياً.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مباحثين مسبقتين بمقدمة وتمهيد ومتوئدين بخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وفيها بواعث الموضوع، والهدف منه، وخطته.

التمهيد: وفيه أربعة محاور:

أولاً: خصائص السورة.

ثانيا: العلاقة بين المعنى والفصلة.

ثالثا: العلاقة بين المعنى والوقف.

رابعا: العلاقة بين المعنى والإعراب.

المبحث الأول:

تجادب العلاقة بين العموم والخصوص وما يستلزم كونه مستعاراً به وبين ما تقضيه الفاصلة من:

- كمال التلطف والتربية.
- كمال النفاذ والقدرة.
- كمال التضرع والقرب.

المبحث الثاني:

تجادب العلاقة بين الإجمال والتفصيل وما يستلزم كونه مستعاراً منه، وبين ما تقضيه الفاصلة من:

- كمال الحذر من جنسه.
- كمال الحذر من فعله.
- كمال الحذر لتعدد جهته.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.
التمهيد

أولا: خصائص السورة:

من خصائص السورة الكريمة تميزها بكونها ختام القرآن الكريم وعلى هذا فيها من معاني حسن الختام ما فيها، فإذًا كان القرآن الكريم يمثل غاية عظمى ومقصودا واحد كما قرر علماؤنا في كون "القرآن الكريم آت إلى غاية عظمى جاءت كلماته، وآياته، ومعاقده، وسوره تناسب وتأنخي للبلوغ إلى تلك الغاية، وذلك المغزى، ولتوصل إلى القلب المعافي من الاستكبار معاني الهيدي إلى الصراط المستقيم المنهتي إلى رضوان المتكلم بهذا الكتاب الكريم جل جلاله"(1)، فلا تفهم كلمة إلا من خلال مقصود الآية ولا تفهم الآية إلا من خلال مقصود المعقد فيه ولا يفهم المعقد إلا من خلال مقصود السورة، ولا يفهم كل ذلك إلا من خلال مقصود القرآن الكريم كله(2) ففي القرآن الكريم كله كالجملة الواحدة تمثل هذه السورة خاتمها؛ وإن كان حديث العلماء عن حسن الختام في القرآن - فيما أعلم - تناول كل سورة على حدة في قولهم: "وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال، لأنها بين أدعية ووصايا وقرائن، وتحميم وتقبل، إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى في النفس بعدة تطوع ولا تشوف إلى ما يقال(3) وقولهم: "المثال الأول: من آية التنزيل فإن الله تعالى ختم كل سورة من:

(1) الأ الأم الباقع جهاد وم نه تأويله بلاغة القرآن الكريم للدكتور/ محمود توفيق سعد – الناشر: مكتبة وapia القاهرة، عا بدين ص 205.
(2) ينظر: نفسه ص 209.
العدد الخامس والعشرون للعام 2021م
الجزء الخامس

سوره بأحسن خاتم، وأتمها بأعجاب إتمام، ختاماً يطالب مقصودها، ويؤدي معناها، من أدبية، أو وعد أو وعيد، أو موعظة أو تحميد، أو غير ذلك من الخواتيم الرائعة، ألا ترى إلى ما ختم به سورة البقرة وسورة الفاتحة، فأما الفاتحة فختمها بما يناسب معناها ويطلب لفظها، من حسن التأليف وجودة الجزالة بذكر الصنفين المغضوب عليهم من اليهود والنصارى، وأن لا يجعلنا منهم، ويتلم لنا هدايته الكاملة، إلى حججه الواضح، وبراهينه النيرة، واختتم سورة البقرة بتعليم الابتؤال إليه في مغفرة الخطايا وترك تحمل الأنقام والإصر والنصرة على الكفار، ونحو اختتام سورة آل عمران بالخواتيم الحسنة من الوصايا بالصير على المكاره، والمصابرة على الجهاد لأعداء الله، وإشادة معالم الدين وإظهار أحكامه، والرابطة للخيل في الجهاد وإعدادها للغزو، وبالتقوى التي هي قوام الدين وملامكه، فمن أجل ذلك يحصل السبب في الفلاح في كل الأمور، وفي خاتمة سورة النساء بالتبجيل والتنظيم بالبيان والهداية، وبما كان من الوعيد، والوعيد في خاتمة سورة الأعظم يقوله: إن رَبِّك سَرِيعُ (1)، فإذا كان النظر إلى القرآن الكريم كله باعتباره سورة واحدة تمثل أم الكتاب فاختتمه ومطلعه، وتمثل الناس خامته ومقطعه فيجب النظر في مناسبة الناس خاتمة للقرآن وعلاقتها بمطلعه وفتحته من وجوهين: أولاً: باعتبار تناسب المطلع مع المقطع، ثانيةً باعتبار كون الفاتحة تلي الناس، لكون القرآن في اتصال أوله بآخره - كحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها أو كما قالوا (2).

فإذا كان مقصود القرآن الكريم "تعريف الخلق بالملك، وبما يرضيه"(1) فسورة الناس في كونها ختاما لهذا المقصود تمثل غاية البيان الموجز في تحقيق معرفة الملك - سبحانه وتعالى - بكونه ربا، وملكا، وإلها، وكل لفظة من هذه الثلاثة بحيل بين طياته كل المعاني الجمهورية والإحسانية في القرآن الكريم كله، كذلك كل ما تقتضيه هذه المعاني من التوحيد وتحقيقه - وكل ذلك بعد تبصيرة العبد بحق الله - سبحانه وتعالى - عليه - تدبره هذه المعاني وما تقتضيه في القرآن كله وما سبق هذه السورة من آيات، وهنا يتوجه العبد إلى ربه وملكيه وإلهه بالاعتصام والانجاء، وهذا على لاحق تحقيق رضا الله عليه، فكان مما يرضيه - سبحانه - إمثال أمر الله باختذل الشيطان عدوا والاستعذاذ بالله منه ومن وسوسته، كذلك الاستعذابة من أعوان الشيطان جنا وانسا، وكلما حقق العبد ذلك في بعده عن الشيطان وأعوانه تحققت له القربي لمولاه - سبحانه - وهذا من تعريف حق الملك بما يرضيه.

أما عن علاقة سورة الناس بأم الكتاب فيما يتعلق بعلاقة المعلق بالمقطع والفاتحة بالختم = فهو علاقة مقصود الفاتحة الذي هو: "مراقبة العباد لربهم"(2) بمقصود الناس الذي هو: "الاعتصام بالله الحق، من شر الخلق الباطن"(3); ومراقبة العباد لربهم تستوجب معرفته والعمل على مـ

(2) نفسه (2009/1).
(3) نفسه (2009/3).
يرضيه، وهذا مقصود القرآن الكريم ومن هنا كانت الفاتحة تحمل إجمالاً للقرآن إذ تحقق المراقبة يتأتي بتدبير معاني القرآن الكريم كله جملة وتفصيلاً، ومن هنا يعلم العبد بما تحقق لديه من هذا التدبير ألا سبيل له من النجاة من كل شر إلا بالاعتقام بهذا الإله الحق، ومن هنا اتصل الافتتاح بالخاتم اتصال العلة بالمعنى إذ "مقصود هذه السورة معلو لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادفة لله ومعادة الشيطان ببراعة الخطا وفذاك النظام، كما أن الفاتحة شاملة لـ ذلك لأنها براعة الاستهداف، ورعاية الجليل والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعنى، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثل" (1)، فهذا من علاقة فاتحة الكتاب بخاتمته على وجه الإجمال والإيجاز.

أما عن علاقة السورتين فيما يتعلق بكونهما طرف في القرآن الكريم، وبعد ما قرره العلامة الباقعي في قوله: "وبه أيضا يتضح أنه لا وقف تام في كتاب الله ولا على آخر سورة "قُلْ أَعْلَمُ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَيَّمَةِ" بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي أوله كاتصالها بما قبلها بل أشد" (2)، فإن قوة العلاقة بين السورتين الكريمتين ظاهرة في كون المراقبة التي هي مقصود الفاتحة تتطلب تخلص العبد من وسوسة الجن والأنس حتى لا يُشغِل عن هذه المراقبة في جميع أموره، كذلك الاعتقام بالله من شر كل باتن والتي هي مقصود سورة الناس تتطلب الاستعانة بالله - سببته وتعمَّل - وهذا يتحقق في الوصل بين قوله - تعالى: "مِنْ آَلِيَةِ وَآَتَتَكُمْ " بقوله -

(1) نظم الدور في تناساب السور للبقاعي ت: 885 - الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة: بدون(92/439).
(2) نظم الدور (1/15).
تعالى: "بنفس أنثرقت النجم (1)", فإذا كان الأمر على هذا النحو فتكون القران الكريم كالمجملة الواحدة مفعناً، وهذا لا يخفى على أهل العلم، فإن سورة الناس تمثل في ارتباط آياتها جملة واحدة إعرابياً، وأياتها وإن فصلت توحيدياً إلا أنها تعرب كجملة واحدة واقعة مقول القول في قولها - تعالى: "قل" في بداية السورة، كذلك تعلق جملة القول بالفعل "أعز", وهذا من خصائصها.

وذلك الخصيقة في سورة الناس لا تخفى على من أوثى أوليات علم النحو في معرفة إعراب الجمل أن هذه السورة تمثل جملة واحدة يكمل بعضها ببعض، فلا تستطيع أن تفهم مدلول السورة كاملاً بعيداً عن استكمال مفرداتها النحوية المرتبط بعضها ببعض; وهذا يرد على القائلين أو الداعين لنحو النص بديلاً عن نحو الجملة، وتعليلهم عدم كفاية نحو الجملة بمتطابقات معرفة مكونياً الكلام بخلاف نحو النص الذي يدرسه كاملاً دون تجزئته إلى جمل صغيرة يكون همه فيها ضبط مفرداتها، وأن نحو الجملة لا يتعدي ذلك إلى إمكان وجود جمل متتابعة كلياً عن طريق هذا النحو، وذلك بخلاف نحو النص (2).

(1) سورة: الفاتحة آية: 1.

ثانياً: العلاقة بين المعنى والفاصلة:

الفاصلة: مأخوذة من الفصل البون بين الشيينين، أو الحاجز بين الشيينين، والفاصلة: الخزارة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصل النظم، وعقد مفصله أي جعل بين كل لؤلتين خزارة.(1) وعرفها الزركشي بقوله: "هي كلمة آخر الآية كفاحية الشعر وقرينة السجع"(2) ويفهم من كلام الزركشي - رحمه الله - في تشبيه الفاصلة بكافية الشعر، وقرينة السجع كون الفاصلة علامة استقلال الآية القرآنية عن التي تليها، كما يستقل البيت بقافيته عن البيت الذي يليه، والفقرة بسجعها عن الفقرة التي تليها، وليس المراد تشبيه الآية ببيت الشعر، أو بالمسجوع من كلام الناس لكون القرآن الكريم يشرف عن ذلك، حيث كان مراده - رحمه الله - تعريف موقع الفاصلة وذلك لقوله: "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسن الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى Foاصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك لأن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجعا"(3).

ومن حيث تعلق المعنى بالفاصلة تعريفا، فقد جعلها البقالاني - رحمه الله - أصلا لفهم المعنى المراد من الآية، وهذا فرق بينها وبين الأسجاع في

(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٧٩٤ - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباني الحلبى وشركائه - الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م (٥٣/١).
(3) نفسه (٥٣/١).
اتباع المعاني للسجع، وإتباع الفواصل للمعاني، وذللك يقوله: "وأما الفواصل": فهي حروف متشابكة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة، والإسجاع عيب، لأن السجع يتبع المعنى، وإتباع الفواصل تابعة للمعاني\(^{(1)}\).

ففعد الحديث عن الفواصل وعلاقتها بالمعنى يمكن تناول ذلك بعده اعتبارات إما تكون الفواصل رأس المعنى في الآية القرآنية، وإما تكون مستقر المعنى في هذه الآية، وهذا المعنى يمثل أحد دائرتين على لاحق المعنى القرآني، وذلك إذا كانت الآية القرآنية تمثل جملة من المعقد الكلي وهذا يكون في الآيات القصار، أو تكون الآية مكونة من عدة جمل كل جملة منها تمثل جزءا من هذا المعقد، وعلى هذا تتسع دائرة المعنى وتنقبض بحسب طول الآية وقصارها، كما يقول الدكتور محمود توفيق: في سياق التلاوة نرى أربع دوائر يحيط بعضها ببعض وفقا لاتساع كل دائرة، فكل دائرة منها هي أقل اتساعا تقوم في رحم دائرة الأوسع، تلك الدواير هي دائرة الآية، فالمعقد، فالسورة، فالقرآن الكريم، ويمكن أن تقول هي خمس دوائر بجعل كجمة دائرة تحيط بها دائرة الآية، تحيط بها دائرة المعقد، تحيط بها دائرة السورة، تحيط بجميع الدوائر دائرة السياق القرآني الكريم\(^{(2)}\)، سواء كانت الفواصل القرآنية رأس الدائرة في الجملة، أو في


\(^{(2)}\) العزف على أنواع الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة للدكتور محمود توفيق سعد - الناشر: بدون، الحقوق محفوظة للمؤلف - الطبعة: الأولى 1414 هـ ص 14.
المعقد في كونها مستقر المعنى؛ فهذا يدل على كون المعنى هو الذي طلبها فعلاقتها بالمعنى تلازمية؛ وقد جعل العلماء علاقة الفاصلة بمعنى الآية التي هي رأسها على وجه من وجوه: التمكين، أو التوضيح، أو التصدير، أو الإيغال، وذلك تحت ما يعرف باتتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام.

ودار كلام من كتب في علوم القرآن في بيان علاقة الفاصلة بمعنى آياتها حول هذه الوجه الأربعة، وسوق الشواهد القرآنية الدالة على ذلك، ودار أغلبها حول دلالة تمكن الفاصلة مع معنى الآية لما في هذا الوجه من التدبر والتأمل لإيجاد وجه المناسبة والعلاقة بين المعنى والفاصلة سواء في التوضيح أو التمكين يكون التصدير علاقة لفظية، أما الإيغال، فتأتي لتأكيد المعنى أو زيادة لمعنى جديد كما قال الزركشي: "والفرق بينها أنه إن كان تقدم لفظها ببعينه في أول الآية سمي تصديراً، وإن كان في أثناء المصدر سمي توضيحًا، وإن أفادت معنى زائداً بعد تمام معنى الكلام سمي إيغالًا، وربما اختلط التوضيح بالتصدير؛ لكون كل منهما صدره يدل على عجزه والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ودلاً التوضيح معنوية ... والتمكين وهو أن تمهد قبلها تمهيدًا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمنة في موضعها غير نافذة ولا قلقة متعلقة معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً بحيث لو طرحت اختت المعنى واضطرب الفهم "(1)، ثم أخذ في سوق شواهد للتمكين وأكثر من ذلك لكونه موضوع التدبر فيه، لإيجاد العلاقة.

(2) البحرهان (1/78 وما بعدها).
بين الفاصلة ومعنى الآية الكريمة، وتبعه في ذلك صاحب الإتقان 1، ومن ذلك قوله: "فإنما آمنة دينكم كم أُلْحَقَ آن تَنْتَزَكَ 2 فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الأموال، اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب، لأن الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب الأموال، وقاله: "أولم يحيدتم كم أُلْحَقَ آن تَنْتَزَكَ 3 أولاً بِهِ وَمَا أُنْتَزَكَ 4 أي أولم بروأ أنت تتزكوا 5 أولاً بِهِ وَمَا أُنْتَزَكَ 6 إلى قوله: "أولاً بِهِ وَمَا أُنْتَزَكَ 7 فأتأت في الآية الأولى ب"يَهِيدُ مِنْ فِئَاتِهَا 8 وختمها ب"يَهِيدُ مِنْ فِئَاتِهَا 9 لأنه الموعظة فيها مسموعة وهي أخبار القرون وفي الثانية ب"يَرَوْاهُ وَخُمِّتْهَا ب"يَرَوْاهُ وَخُمِّتْهَا 10 لأنها مرئية، وقاله: "لَتُحْتَدَّ عَنْهَا الأَصَرُّ وَهُوَ يَدِرُّكْ الأَصَرُّ 11 وهو النظيف أعلى 12 فإن اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبر يناسب ما يدركه، وقاله: "وَلَقَدْ خَلَصَنَّا إِلَيْكَ مِنْ سَلْطَانِ طَيِّبَ 13 إلى قوله: "فَخَالَكَ رَبُّكَ أَحْسَنَ أَنْحِيَاهُ 14 فإن في هذه الفاصلة التمكين النام المناسب لما قبلها 15، وكل هذه الشواهد جاءت في آيات طوال تمثل الفاصلة فيها جملة مستقلة، وليس فيها شاهد لآية قصيرة؛ على حين فرق الشيخ المطاعني بين فاصلة الآيات الطوال وفاصلة الآيات القصيرة على اعتبار

(1) ينظر: الإتقان (34/5 وما بعده).
(2) سورة: هود آية: 78.
(4) سورة: السجدة آية: 27.
(7) الإتقان (42/6).
استقلال الفاصلة في الآيات الطوال سواء كانت الآية في سورة من القصر أو الطوال أو المتوسطة؛ فإن فاصلة الآيات الطوال تتسم بكونها جملة مستقلة تأتي لإفادة معنى معين متعلق بالآية أو وظيفة معينة التعليق، أو الإنكار، أو التوكيد، أو الترغيب، أو زيادة الإيضاح، أما فاصلة الآيات القصر - سواء أكانت في سورة قصيرة أو طويلة أو المتوسطة - فتكون جزءا من الآية نحويا وعلى هذا فهي جزء من معنى الآية لا ينفصل عنها؛ لكونها لا تتسم بالاستقلالية لكونها ليست جملة تامة، وقد تكون رأس جملة قصيرة خاطفة، حذف أحد ركنيها، أو ممول عامله يقدم ذكره في الآية؛ فيتوقف تأدية معنى الآية على هذه الفاصلة لكونها جزءا من بنائها الرئيس، فلا يتم المعنى حتى يتم الوقف عليها(1).

ثالثاً: العلاقة بين المعنى والوقف.

الوقف على الفاصلة له علاقة وثيقة بالمعنى، لكون الفاصلة في الغالب
هي نهاية المعنى في الآية، حتى ولو كان المعنى للآية لم ينته بانتهاء
الفاصلة فالوقف عليها جائز، إما لكون الوقف عليها توقيفيًا، وإما لسر
معنوي لا يعلمه كثير من الناس، فيتعلق بالوقف على رأس الآية المتصلة
بما بعدها معنى من المعاني، ولها مع الاتصال معنى آخر، وهذا أثر في
الدلالات، كذلك يرتبط الوقف بالمعنى ارتباطًا وثيقًا فعلاقة المعنى بالوقف
علاقة حتمية، فقد يتم المعنى في الآية قبل الفاصلة، فيجوز الوقف عليه كما
يجوز الوقف على الفاصلة في رأس الآية، بل إن المعنى قد يتعدى رأس
الآية إلى الآية التي تليها فتأخذ بعضها أو كلمة منها، وهذا الوقف يكون،
ويسمي بالوقف التام، لكونه لما يحسن القطع عليه والابتداي بما بعده،
ويعود عند انتهاء الفصوص، وأكثر ما يكون في الفواصل، وفي رؤوس الآي
كقوله: ﴿فِإِنَّ آِيَةً كُتْبَ﴾١، وكذلك:
﴿يَقُولُ ابْنُ عُمَيْرُ﴾٢، والابتداء بقوله: ﴿وَإِذَا قَالَ رَبِّي﴾٣، وكذلك:
﴿وَأَلْقَى﴾١، والابتداء بقوله: ﴿إِنْ يَزُوَّدُهُ﴾٣، وكذلك ما أشبهه مما
تنقضي القصة عند به، ويوجد في أخرى، وقد يوجد قبل انقضاء الفاصلة
كقوله: ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَاضًا أَهْلَهَا أَذَٰلَةٍ﴾٣، هذا هو التمائم، لأنه انقضاء كلام بلقيس ثم

١ سورة البقرة آية ٥ - ٦.
٢ سورة البقرة آية ٢٩ - ٣٠.
٣ سورة البقرة آية ٤٦ - ٤٧.
قال عز وجل: (وَكَذَلِكَ بَعْضُكُمْ مُّفْعَلُونَ) (1) وهو رأس الآية، وكذلك: (وَكَذَلِكَ بَعْضُكُمْ مُّفْعَلُونَ) (1) هو رأس الآية، وقد يوجد بعد انتقاء الفاصلة بكلمة قوله: (وَأَيَّامَنُ عَلَىٰ مُصِيِّحِينَ رَبَّيْنِي) (2) رأس الآية (مُصِيِّحِينَ) والتمام: (وَأَيَّامَنُ عَلَىٰ مُصِيِّحِينَ رَبَّيْنِي) (2) لأنه معروف على المعنى، أي: في الصحيح واللليل، وكذلك: (عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ) (3) رأس الآية (يَبِينُ) والتمام (وَرُجُفًا) لأنه معروف على ما قبله من قوله: (سُقُفًا) (4)، لأن المعنى: كذلك كان خبرهم، وقد يوجد أيضاً بعد آية أو آيتين أو أكثر (1).

ووهذا كله يتعلق بالوقف النام حيث يتعلق الكلام بما قبله لفظاً ومعني، أما فيما يتعلق الكلام فيه بما قبله معنى فهو من الوقف الكافي فيحسن الوقف عليه، سواء أكان في ترتيب الآيات، أو على الفواصل في روعسها؛ وذلك نحو الوقف على قوله: (وَلاَ عَلَىٰ أَنْفَسَكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْمُجَرَّمِينَ) (وَلاَ عَلَىٰ أَنْفَسَكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْمُجَرَّمِينَ) (وَلاَ عَلَىٰ أَنْفَسَكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْمُجَرَّمِينَ) (5) والابتداء بما بعد ذلك إلى قوله: (أَسْتَعِنْ بِاللَّهِ) (6) وما أشبهه، وكذلك القطع على

(1) سورة النمل آية 34.
(2) سورة الفرقان آية 29.
(3) سورة الصافات آية 137-138.
(4) سورة الزخرف آية 34 - 35.
(5) سورة الزخرف آية 33.
(6) ينظر: المكتفي في الوقف والإبتداء لأبي عمرو الداني ت: 44-45- تحقيق: محيي السدين


(7) سورة النور آية 61.
الفواصِل في سورة الجن، والمدن، والتكوير، والانفطار، والانفطار، وما أشبههن، والإبتداء بما بعدهن (۱) ، أما ما يحسن الوقف عليه، ولا يبتدأ بما بعده فهو من الوقف الحسن لكونه وقفاً على رؤوس الآيات وفواصلها، وإن كان متصلة بما بعدة لفظاً ومعنى (۲) ، أما ما لا يفهم من معناه شيء، أو يضيع المعنى معه في الوقف فهو من الوقف القبيح (۳) ؛ وهكذا يرتبط الوقف بالمعنى تماماً، واكتفاء، وحسنًا، وقبحاً فيما يتصل بما بعده معنى وإعراباً.

(۱) ينظر: المكتفي ص ۱۰.
(۲) ينظر: نفسه ص ۱۱.
(۳) ينظر: نفسه ص ۱۳.
رابعا: العلاقة بين المعنى والإعراب


(3) سورة: الواقعة آية ۳۷.
ولم يختلف التعرف الاصطلاحي للإعراب عن التعرف اللغوي كثيراً في كونه يرتبط بالمعنى المراد من الكلام، بل في تعرف ابن جني له، جعله أصلا في زوايا الإبهام والتعميق على السامع في فهم المعنى المراد من الكلام، وذلك في قوله في تعرفه: "هو الإمام عن المعاني باللفظ ألا ترى أنه إذا سمعت أكرم سعيد أبوه وشكر سنغبا أبوه علما برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من الفاعل ولو كان الكلام شرجة وأداها لاستنبهم أحدهما من صاحب"(1) فالفائدة لا تحصل في الكلام من غير الإعراب، فيه يفرق بين المعاني المختلفة، وله يستدل السامع على معناه، فهو الهادي على لاحب العبارة فهو كما يقول ابن يعيش "أن الإعراب إنماأتي به للفرق بين المعاني، وإذا أخبرت من الاسم بمعنى من المعاني المفيدة اشتهى إلى الإعراب ليدل على ذلك المعنى"(2).

والأمر من ذكر علاقة المعنى بالإعراب فيما نحن بصدده هو اتصال بعض آيات القرآن إعرابياً مع وجود الفصلة التي يكون الوقف عليها توقيفياً، مما يجعلنا أمام ثلاثة للمعنى من وجهين الوقف على الفصلة في تأدية معنى من المعاني، والوصول بالأية التالية ليأتي لنا معنى آخر، وقد تتواصل آيات السورة جميعها فيما بينها إعرابياً، مع جوائز الوقف على وصول ورخص آياتها، مما يجعل الفصلة تقتضي معنى، ويسألم الوصل بالأية التالية معنى آخر.

(1) الخصائص لابن جني ت: 362 - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: الرابعة بدون (1/3).  
توظيفت:

اتخذ الباحث من سورة الناس نموذجا لهذه الدراسة؛ وذلك لكونها تمثل جملة واحدة طويلة، فهي تمثل مقول القول لفعل الأمر الذي بدأت به السورة الكريمة، وهي كباقي سور القرآن الكريم تدور حول معنى واحد إلا إن آياتها ترتبط إعرابها، وتتمثل كل آية من آياتها وحدة من وحدات المعنى يجوز الوقوف عليها كما يجوز الوصل بينها، إلا إن رسم آياتها يجعل الوقوف على فواصلها توقفيلا.

وسورة الناس تدور حول معنى الاعتماد بالحق - سبحانه وتعالى - من شر كل باطن، أو من شر الباطن المأئوس به كما قال الشيخ البقائي: مقصودها الاعتماد بالإله الحق من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطيع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع، وأحسن من هذا أنها للاستغادة من الشر الباطن المأئوس به المستروح إليه، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي(1)، وعلى هذا المعنى العام للسورة:

فالسورة الكريمة يمكن تقسيم معناها قسمين: ما يستلزم كونه مستعدا به، وما يستلزم كونه مستعدا من؛ فالقسم الأول أو المعنى الأول يتمثل في سبعة آيات في السورة الكريمة، وذلك في قوله - تعالى - (1 نأَعَوْدُ يُرِبَّ أَلْتَابِيَّا) و(2 إِنِّي أَلْتَابِيَّا) فكونه مستعدا به يستلزم أحقيته بذلك من الانتخاب به - سبحانه - وهذا لا يكون إلا إذا كان ربا، ملكا، وإلهًا؛ أما القسم الثاني من معنى السورة الكريمة: وهو ما يستلزم كونه مستعدا

__________________________
(1) نظم الدرب (22/23).
(2) سورة الناس: آية 1-2.
منه، وهذا المعنى يمثله الثلاث الآيات الأخرى في السورة، وذلك في قوله تعالى – : (1) من سير الوسطاين الحسناء (ألذى يُوسوْسُ في صُدُور الناس يُحِبُّونَهُمُ عَلَى الْحَكَمَةِ وَالْعَلَامَةَ) (1). 

والسورة الكريمة قد اتخذت في كل معنى من هذين المعانيين أو هذين القسمين علاقة أسلوبية خاصة، فالقسم الأول الذي يمثله الثلاث الآيات الأولى يتدرج من العفوم إلى الخصوص "فبدأ بالعفوم ثم أتبع بالخصوص لكي يكون أبلغ في تحويل ما قصدت الاستعاذة منه، وأوفي بالمقصود" (2)، أما القسم الثاني والذي يمثله الثلاث الآيات الأخرى فيتدرج من الإجمال إلى التفصيل، ويظهر هذا في علاقة الآية الأولى من هذه الثلاث بالتي تليها لكونه لما ذكر صفة المستعاذ منه، ذكر إبرازه لصفته بالفعل فقال: (3) "ألذى يُوسوْسُ" (3).

فإبرز صفات المستعاذ منه فيه مزيد من التفصيل الذي أجمل بداية.

(2) نظم الدرب (2/26: 426).
(3) نفسه (2/33: 42).
المبحث الأول:
تجاذب العلاقة بين العموم والخصوص
وما يستلزم كونه مستعذا به وبين ما تقضيه الفاصلة من:

- كمال التلطف والتربيبة.
- كمال النفاد والقدرة.
- كمال التضرع والقربى.
المبحث الأول:
نجاح العلاقة بين العموم والخصوص وما ينسلزم
كونه مستعدها به وبين ما تقضيه الفاصلة من:
جمال التلعف والتربية.

يمثل هذا المعنى وهو: جمال التلعف والتربية في العلاقة
الدالة على العموم الذي بدأت به الثلاث الآيات الأولى التي تبين ما ينسلزم
كونه - سبحةه وتعالى - مستعدها به، وكونه الأخلاق بالاعتضا من هذا
الشر - هذا الاعتقاس الذي هو المعنى الرئيسي للسورة الكريم - وهذه
المعنى بمثله قوله - تعالى: (فَلْأَعْوَدُ بِرَّ أَنْتَ السَّمَّاءُ) ﷺ، وإذا كان لفظ الرَّب
مأخوذًا من التربة التي مقصودها الأعظم يدور حول معنى التلعف والتربية،
إلا أنها تفيد عموما في الدالة يشمل معاني القدرة والفبر والاستثمار وهذا
ما يفيد لفظ الملك، كما في قوله تعالى: (وَتَبَارَكَ الَّذِى لَهُ مَا أَنتَوَالْدُرُّ وَمَا
بينهما وعِندَهُ جَعْلَى الْقُلُوبِ وَارْتَفَعَتْ) ﷺ لكون إثبات الملك له جاء بعد تشريعه
- سبحةه - استعدها على هذه الرؤية، وسياق الآيات: (فَسَيَكُونُ رَبُّكَ الْأَنتَكْشِبُوت
وَالْأَرْضُ رَبُّ الْعَصُورِ عَلَيْهِ يَصِفُونَ (28) فَذُرُّوهُمْ يُخِزُّوهُمْ وَيُعَذَّبُوهُمْ حَتَّى يَتَّقُوا هَٰذَى يَوْمَ يُوعَدُونَ (29)
وَهُوَ الْأَلِيمُ الْحَكِيمُ (30) وَتَبَارَكَ الَّذِى لَهُ مَا أَنتَوَالْدُرُّ وَمَا
بينهما وعِندَهُ جَعْلَى الْقُلُوبِ وَارْتَفَعَتْ) ﷺ كثَّ بَيْنَهَا لفظ الرَّب
عموما في الدالة يشمل معاني أحيضته بالعبودية بكونه إلهًا وهذا ما يفيده
لفظ إله، وعلى ذلك ورد لفظ الرَّب في القرآن الكريم في أختص مقدمات

(1) سورة الزخرف آية: 82، 85.
التوحيد الكامل حيث أخبر عن لفظ الله بلفظ الرب كما في قوله - تعالى -:

(1) كذلك جاءت خصائص الألوهية مخزرا بها عن ذات الرب - سبحانه - كما في قوله - تعالى -:

(2) وإليك ربيكم الله الذي خلق السموم والأرض

وهكذا فإن تبادل مواقع لفظي (الله) و (الرب) في القرآن الكريم والأخبار بأченهما عن الآخر يقطع بما بينهما من الخصائص المشتركة (3).

والله فعالات الثلاث الأول في السورة تفيد تدرا من العموم إلى الخصوص فالأرب أعم من الملك، والملك أعم من الإله كما قال العلامة الباقعي: "ولما كان الرض والملك متقاربين في المفهوم، وكان الرض أقرب في المفهوم إلى اللطف والتربيه، وكان الملك للقهار والاستيلاء وإظهار العدل ألمز، وكان الرض قد لا يكون ملكا فلا يكون كامل التصرف، انفلست البلاغة تقديم الأول وتبعه الثاني، فقال تعالى:

(3) مثال الآية: إشارة إلى أن له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام السلطان، وإليه الفزع وهو المستعان، والمستغاث والملجأ والمعاد، ولما كان الملك قد لا يكون إلها، وكانت الإلهية خاصة لا تقبل شركاً أصلاً بخلاف غيرها، أنهى الأمر إليها وجعلت غاية البيان (4)، وهذا هو المعنى الذي يستلزم كونه - سبحانه وتعالى - مستعذباً به في هذه الآيات، وهذه العلاقة التي تربط هذه الآيات تتجاذب فيما بينها في هذا المعنى، وبين ما تقضيه الفصلة في حالة الوقف، في الدلالة على

(1) سورة: الشورى بعض آية: 15.
(2) سورة: الأعراف بعض آية: 54.
(3) ينظر في رواق آزهري للدكتور: محمود حسن مخلوف - الناشر: مؤسسة بداري للطباعة: أسبوع - بدون ص 50 وما بعده.
(4) نظم الدار (2/2024).
مقصود السورة الأعظم وهو الاعتصام بالحق - سبحانه - من شر كل باتن

يستروح إليه.

إذا كان هذا ما تستلزم العلاقة في العموم والخصوص فإن الفاصلة
الأولى في قوله - تعالى - : { قل أعوذ برب آتاين } تقتضي معنى كمال
tلففات الترقب لتبني لأنه لما كانت صفة الروبية من صفات كماله سبحة الله أليق
بالحماية والإعانة والرعاية والقلق والتذمر والإصلاح، المتضمن
للقدرة التامة والرحمة الواسعة، والإحسان الشامل والعلم الكامل، قال تعالى:
{ يارب آتاين } أي أعتصمت به أي أسأله أن يكون عاصماً لي من العدو أن
يوقعني في المهاج .. (1)؛ فإذا استغل العبد بره من الناس يقتضي ذلك قدرته
- سبحة و تعالى - على حمايته، فيكون ملأجأ في كل حاجاته وعوزه،
وامنا له من كل ما يضره في علاقته مع الناس، وباعتباره هذا كان المستعن
فردًا من هؤلاء الناس استنادا لما أفادته "ال" من استغراق الجنس - فإن
الاعتصام والحماية كما هي مطلوبة من الله للعبد من الناس كذلك يطلب العبد
من مولاه وحمايته - سبحة - أن يحميه من نفسه وشرورها، كذلك تقتضي
الحماية دفع المضار عنه من الناس، ومن نفسه.

وكماأي يفيد الاعتصام بالرب - سبحانه - دفع المضار كذلك يفيد جلب
المنافع وما يسر، وذلك يكون بالإعانة والرعاية والإحسان الشامل والعلم
الكامل، وأروع الأمثلة في ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن أصحاب الكهف
في قوله تعالى: { نحن نقض عليهن نباهة بالله وقبح أعدائهن فلم يدخلهن وردنهن }.

(1) نصفه (22/425).
هُدِّى١(١) فَمَا كَانَ سَبِبُ إِعَانَةَ اللَّهِ وَرِعَايَتِهِ لَهُمْ وَإِحْسَانُهُمْ الشَّامِلَ عَلَيْهِمْ إِلَّا لِإِيمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ مِنْ حَقِّهِ مُحْقِقَةَ الرِّبَوَيَّةِ اللَّهَ مِنْ كُونِهِمْ قَامَوا بِبِنْيِ مَلَكِهِمْ دِقِينُوسَ الجَبَارِ، وَقَالُوا: رَبَّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ الطُّوَّاَبِيَّةِ، فَثَبَّتَ اللَّهُ هُؤُلَاءِ الْفَتِيَّةِ، وَعَصَّمْهُمْ حَتَّى عَصُوا ذَلِكَ الْجَبَارِ، وَأَقَرَّوْا بِرَبِّيَّةِ اللَّهِ، وَصَرَحُوا بِالْيَرَأَاةِ عَنِ الْشَّرَّاءِ وَالْأَلْدَاد٢(٢); فَتَحَقَّقَتْ عُنَايةَ اللَّهِ وَرِعَايَتِهِ لَهُمْ بِالْحُفُظِ، وَوَسَالَتْهُمْ مِنْ أَذِى مَلَكِهِمْ، وَوَدَامَ هَذِهِ الْحَمَارِيَّةَ وَالْرِّعَايَةَ مَدَّةً مَكُوثَهُمْ فِي الْكَهْفِ، وَمِنْ قِبَلِ ذَلِكَ كَانَ مِنْ تَلْطِيفِهِ - سِبْحَانَهُ - وَتَرْبِيَّتِهِ لَهُمْ بِأَنَّ زَادَ مِنْ هِدَاهُمْ بِمَا قَذَفَ فِي قَلْوبِهِمْ مِنْ الْمَعَارِفِ، وَبِمَا شَرَحَ صَدُورُهُمْ مِنْ الْمَوَاهِبِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْبَقَاعِيُّ - رَحْمَةُ اللَّهُ - : "وَلَمَّا دُلَّ عَلَى الْإِحْسَانِ بَاَسُ الْرِّبِّ، وَكَانَ فِي فُطْهِهِ مَعَهُ مِنْ بَاهِرِ الْقُدرَةِ مَا لَا يَخْفَى، انْتَفَتْ إِلَى مَقَامَ الْعَظْمَةِ فَقَالَ تَعَالَى عَاطِفًا عَلَى مَا تَقَدَّرِهِ: فَأُهْتَدَى بِإِيَمَانِهِمْ: "وَرَزَدَنَّهُمْ" بَعْدَ أَنْ آمَنُوا "مُدَّى" بِمَا قَذَفْنا فِي قَلْوبِهِمْ مِنْ الْمَعَارِفِ، وَشَرَحْنَا لَهُمْ صَدُورٌ مِنْ الْمَوَاهِبِ الَّتِي حَمَلَتْهُمْ عَلَى ارْتِكَبَ المَعَاطِبِ، وَالْزَّهْدُ فِي الْدُنْيَا وَالْإِنْقَاطُعِ إِلَيْهِ"٣(٣)، وَهَذَا شَأْنُهُ - سِبْحَانَهُ - مَعَ جَمِيعِ خَلْقِهِ فِيْنَ أَتَخَذِّهِ رِبْ; فَيَفْضُي عَلَيْهِ مِنْ نَعْمَانِهِ: حَمَارِيَّةَ إِعَانَةَ وَرِعَايَةً وَإِحْسَانًا شَامِلًا بَعْلَهُ الْكَامِلُ تَلْطِيفًا وَتَرْبِيَةً، وَهَذَا الْعَمْوُ مُنْ أَنْجَمَ عَمَرَ مَعْوَمَ الْدِّلَّالَةَ فِي لَفْظِ "رِبٌ" هَذَا الْعَلَمُ الْكَامِلُ الَّذِي يَدْرِكُ حَقَّقَةَ النَّاسِ، وَمَا تَنْتَوَى عَلَى نَفْسِهِمْ، فِيْسَدْعُي ذَلِكَ مِنَ الْمُوَلِّي الْعَلَيْ
تطفأ وتربية وإحسانا منه؛ لكون الإنسان كما لا يملك أمر غيره قد لا يملك أمر نفسه إلا برعاية وإحسان من ربه - سبحانه – فإذا حقق هذه الروبية لخلقه أمن من خوف الخس والرهق لنفسه، حيث يحميه الله - سبحانه - من خلقه رعاية منه وإعانا له عليهم، وحفظا له منهم، فإذا ظلم، فربه ناصره؛ كذلك يحميه ربه من نفسه إذا راودته على بخس غيره؛ يدل على ذلك قوله - تعالى - (فَنَسْتَؤْمِنُ بِرَبِّنَا فَلاَ يَقْتَفِي بَعْضُكُمْ وَلَا رُكُنًا) (1) وعلى ذلك يشمل هذا الإعفاء كل من يؤمن بربه، لما أفاده قوله: "من" في الآية الكريمة، يدل على ذلك أن هذا الإيمان كان سببا لحماية الجن من إيقاع السماء بهم لأنه لما كان التقدير: فآمنا بسبب إيماننا الذي قادنا إليه حفظ السماء من الإيقاع بنا لتمام قدرته علينا الذي هدانا إليه منعنا من الاستماع بالحراسة، سبوا عن ذلك قولهم معتبرين بالعجز عن مقاومة التهديد من الملك طالبين التحصن بتحصينه والاعتصام بحبيله (2)، وجاء تقرير عموم هذا الإعفاء على لسان الجن مع كونهم جزء من هذا العموم بما وقع عليهم من إعفاءه - سبحانه – وذلك لكونهم عاينوا هذا الإعفاء وعلموا سببه، وتحقيق لديهم حقيقته، وأنه لا منجي غيره، فأفادوا أن هذا الإيمان كما أنجاه فهو منج لغيرهم؛ وذلك لكونهم لما فهموا أن دعاهم إليه وبيانه للطريق ميع قدرته التامة إما هو من عموم لطفه ورحمته، ذكرنا وصف الإحسان لزيادة الترغيب فقالوا: "يَا أَيُّ الْمُحْسَنِ إِلَيْهِ مَنَا وَمِنْ غَيرِنَا" (3) فإذا كان المولى - سبحانه – قد نفى عن الذي حقق الإيمان الخوف من السبخ والرهق،

(1) سورة الجن آية 13.
(2) نظم الدار (832/20).
(3) نسمة (887/20).
وهو من باب نفي الأدنى لنفي الأعلى؛ لكون نفي خوف البخس والرهق من أصله بنفي حصول البخس والرهق له، وهذا يجمع له الأطمئنان والراحة بداية والأمن من الهضم والذلة بذلك الخوف من البخس والرهق. فهذا يدل على كمال التلتطف والتربية في فظ "رب"، فلفظه جاء من نفي الخوف عنها بداية، وتربيته له أباؤه يكون ممنيبخس الناس حقهم، حيث "قرأ الأعمش": فلا يخف، على النتهي بخساً ولا رهقاً أي جزاء بخس ولا رهق، لأنه لم يبخس أحدا حقا ولا رهق ظلم أحد، فلا يخف جزاءهما؛ وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظلم، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام (1): "المؤمن من آمنه الناس على أنفسهم وأموالهم" (2); فإذا حقق العبد هذا الإيمان بيبره كان ربه عاصما له من كل ما يضره تلطفاً منه سبحانه وتربية، لتعلق معاني الإحسان، والإصلاح، والرحمة الواسعة بهذه الربوبية ومن ثم تقتضي الفصلة على لاحب استلزم معاني كونه - سبحانه تعالى - مستعاذا به أجل دواعي الاعتقام به من شر كل باطن، فسعة رحمته، وجميل إحسانه تشمل كل معتصم، فهو القادر على إصلاح قلوب.

(1) أخرج ابن ماجة وابن حبان والحاكم من حديث فضيلة بن عبد بهذا. وأتته منه. وفي الباب عن أبي هريرة يلفظ "المؤمن من آمنه الناس على أنفسهم وأموالهم"، وأخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم. وعن أنس أخرج ابن حبان والحاكم أيضاً، وعن أبي مالك الأشعري ووائيلة بن الأسقع، أخرجهما الطبراني مطولاً، وأخرج حديث وائيلة أبو يعلى، وعن عبد الله بن - عمو بن العاص أخرجه عبد بن حميد. ينظر: تخرج الأحاديث والآثار الوارقة في تفسير الكشف للزمخشي لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي: 436 هـ - تحقيق: عبد الله بن عبدالرحمن السعد - الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض - الطبعة: الأولى، 1414 هـ (10-40) (1).

(2) الكشف للزمخشي ت 538 - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - الطبعة الأولى، 1407 هـ (1284/4).
العباد من هذه الشرور، وذلك بهديتهم إلى صراطه المستقيم، يدل على ذلك قوله - تعالى - ﴿ قل إنني هدى ربي إلى صراط مستقيم ﴿ (1) فإسناد الهدية إلى الرب - سبحانه وتعالى - لكونه هو أحق بالاعتصام والاجتهاد دون غيره، فمنه الهدية والإحسان فقاله: ﴿ رَبِّ أَيَّ الْمُحْسَنِ إِلَى بَكَّ لَا سَيْماً هَذَا الذي أوحاه إلي وأنزله علي ﴿ (2) فمن جملة هذه الخيرات وعمومها: أحقيته في الاعتصام به من كل شر باطن، من حيث أنه رب الناس، وهذا ما تقضيه الفاصلة من كمال التلطف وال التربية، موازنة بينها وبين ما تستلزمه المعاني، وهذا المعنى بهذا العموم يحمل من معاني النفع والقدرة والقهر، لكون مـن يكون أحق بالاعتصام والاجتهاد يستوجب أن يكون قادراً ذا سلطان نافذ، وهذا ما تقضيه الفاصلة التالية.

(1) سورة الأحزام آية 161.
(2) نظم الدرر (7/37).
كمال النفاذ والقدرة

وهذا المعنى تفيده الآية التالية في قوله - تعالى: "مالك آل الكايين";
فتدرب من العموم إلى الخصوص فيما يستلزمه كونه - تعالى - مستعذاً به;
فإذا كان لفظ "رب" يقتضي كمال التلطف والتربيبة، وهذا يشمل كمال النفاذ والقدرة على العموم، ولم ما كان لفظ "رب" لا يقتضي ذلك النفاذ، وتلك القدرة، تدرب إلى هذا الخصوص في لفظ "ملك" لهذا الإقتضاء، فالفاصلة في إيضار لفظ الملك بما يدل على نفاذ القدرة على الناس، حيث ترجع له سياستهم وإصلاح أحوالهم الظاهرة والباطنة؛ وذلك لاختصاص الملك بالتصرف في الأمر والنهي، كما قال الراغب: "الملك: هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين، ولهدى يقال: ملك الناس، ولا يقال:ملك الأشياء"(1) فاختصاص الملك بسياسة الناطقين في الأمر والنهي يجعله سبحانه أملك لأمورهم ظاهرة وباطنة في إصلاح نفوسهم من الشرور التي قد تملك عليهم صدورهم تجاه غيرهم من الناس، وهذا يستلزم التوجه إليه سبحانه التجاء واعتصاماً بكونه مستعذاً به.

كذلك تقتضي الفاصلة من المعاني في لفظ "ملك" بعد لفظ "رب" ما لا تقتضيه في غيره على نحو ما جاء في فاتحة القرآن الكريم في قوله - تعالى: "رب أحكم الصمد (1) أحكم نار الجعران (2) ملك يسر آياتي(3) ففرق ما بين الملك والملك لما يختص به الملك من النفاذ لسلطان الملك وليس سلطان الملكية، فقد لا يكون الملك ملماً، لأن الملك له نفاذ القدرة بسلطانه في كل

(1) المفردات ٤٧٤.
(2) سورة الفاتحة آية: ٢، ٣.
المالك، والمالك إنما له نفاذ القدرة فيما تحته من الملك، فانصياع مملوكه
له ناشئ من امتلاك رقابهم والتحكم في قوتهم فهو بالقرح أولى كما يقول
العلامة الرازي: “الملكية سبب لإطلاق التصرف، والملكية ليست كذلك فكان
الملك أولى.” الرابع: أن الملك ملك للرعاة، والمالك ملك للعبيد، والعبد أدون
حالا من الرعية، فوجب أن يكون القهر في الملكية أكثر منه في الملكية.
فوجب أن يكون المالك أعلى حالا من الملك، الخامس: أن الرعية يمكنهم
إخراج أنفسهم عن كونهم رعاة لذلك الملك باختيار أنفسهم، أما المولوك فلا
يمكنه إخراج نفسه عن كونه مملوكا لذلك المالك باختيار نفسه، فثبت أن
القرح في الملكية أفضل منه في الملكية. السادس: أن المالك يجب عليه
رعاية حال الرعية، قال عليه الصلاة والسلام: “وكلكم راع وكلكم مسؤول عن
رعايته(1)، فوجب رعاية حال الرعية من تدبير شؤونهم؛ لضمان حسن
معاشهم، واستواء حياتهم واستقرار أمرهم فيما بينه يجعله - سبحانه
باعتبارة ملكا لهم أولى بالاعتصام والالتجاء وهذا ينطوي كونه مستعاذا به.
أما إذا كان الملك يحتل الأمور باعتباره - سبحانه - ملك الملوك،
وإذا يستلزم كونه - جلا وعلا - متصفًا بالقرح لغيره من العبيد مع النفاذ
لأمره ورعايته لحال رعيته، ففي كلتي الحالتين: فهو إذا كان يملك على
الناس قهرهم ونفاذ أمره بما تحت يده من ملك، فهو أيضا يملك نفاذ أمره

(1) جزء من حديث للنبي صلى الله عليه وسلم متفق عليه من يحدث سالم عن أبيه في كتاب:
"الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم لأبي نصر محمد بن فتح بن عبد الله الأردي:
488 هـ - تحقيق: د. علي حسين البركة - الدار: دار ابن حزم - لبنان/ بيروت -
(2) مفاتيح الغيب (1/205)."
عليهم وإن لم يملك قوتهم ورزقهم ورقابهم، وهذا يجعلهم في احتياج له في تدبير شئونهم اعتماصاً به والتجاء، وهذا يجعل لفظ: "ملك" في هذه الآية متعنٍّ كما قال الرازي: "وحجة من قال إن الملك أولى من المالك وجهو: الأول: أن كل واحد من أهل البلد يكون مالكاً أما الملك لا يكون إلا أعظم الناس وأعلاهم فكان الملك أشرف من المالك. الثاني: أنهم أجمعوا على أن قوله تعالى: (قل آعودُ يربُّ آتكاَءُ مَلُكُ أنَا بِكَ مَلْكُ) لفظ الملك فيه متعنٍّ، وولاء أن الملك أعلى حالاً من المالك وإلا لم يتعنٍّ (2) فتتعلق بتعيينه أقتضائه من الن/favicon.pngذ والقدرة ما يستلزم كونه مستعذاً به.

كذلك اقتضاء لفظ: "ملك" قوته في حسن سباسته لرعيته وتعلقهم بهذا مطلقًا، لأن هذه القوة تتعلق بها مصالحهم في أمنهم وهم في سباسته من المضار التي من الممكن أن تلحقهم من خلقه لولا خوف هؤلاء من عقاب ملكهم، وعدله في إقامة أمرهم فيما يتعلق بحقوقهم، فيما نلهم، وما علىهم؛ فكانت سياسة الملوك أقوى من سياسة الملك، كما قال الرازي -رحمه الله-: "فسياستة الملوك أقوى من سياسة الملك، لأنه لو اجتمع عالم من المالكين فإنهم لا يقاومون ملكاً واحداً، ألا ترى أن السيد لا يملك إقامة الحد على مملوكاه عند أبي حنيفة وأجمعوا على أن الملك يملك إقامة الحد على الناس، وأما سياسة الملكية فهي فوق سياسات الملوك، لأن عالما من أكابر الملوك لا يمكنهم دفع سياسة ملك واحد، وأما سياسة ملك الملوك فإنها فوق سياسات الملكية، ألا ترى إلى قوله تعالى: (يَوْمَ يُقُومُ الْأَرْحَامُ وَالْإِلْيَامُ صَفٌّ ۛ لَا)}

(2) مفاتيح الغيب (1/205).
حولية كلية اللغة العربية بجرجا

مجلة علمية محكمة

(1) سورة: النبأ آية 38.
(2) سورة: البقرة آية 255.
(3) سورة: الأنباء آية 28.
(4) مفاتيح الغيب (1/1) 2005.

1. يقول تعالى: "فمن ذا الذي يستمع عبده إلا آدم". وقال تعالى: "ولا يستمعون إلا لمن أرضيتهم".
2. فيا أيها الملوك لا تغتروبا بما لكم من المال والملك فإنكم أسراء في قبضة قدرة مالك يوم الدين ويا أيها الرعية إذا كنت تخافون سياسة الملك أفقما تخافون سياسة ملك الملوك الذي هو مالك يوم الدين.
3. فحسن سياسته - سبحة - فيما يتعلق برعيته تستوجب اقتناعه على جميع خلقه في عدله بمجازة المخالفين عن أمره، والخارجين عن حكمه، فلا يتزورون على عباده من خلقه الذين اعتصموا به، مما يجعل هؤلاء العباد حالة كونهم تحت سلطته في آمان من الخرجين على حكمه؛ فما تقتضيه الفاضلة بهذا المعنى في لفظ: "رب" من دفع المضار عنهم مما يستلزهم كونه مستعذًا به.

كذلك مما يقتضيه لفظ: "ملك" كمال نفاد أمره وسلطانه بعد تعرض هذا النفاذ وذلك السلطان للنقش مطلقًا؛ لأن نفاد أمره لا يتعلق بما تحت يده من ملك بخلاف المالك الذي يرتبط نفاد أمره بما يملك؛ فينقص بانتقاص ملكه كما قال الرازي - رحمه الله -: "من أحمام كونه تعالى ملكا أنه ملك لا يشبه سائر الملوك لأنهم إن تصدروا بشيء انتقاص ملكهم، وقفت خزائنهم، أما الحق - سبحة و تعالى - فملكه لا ينقص بالعطاء والإحسان، بل يزداد، بله أنه تعالى إذا أعطاك ولدا واحدا لم تتوجه حكمه إلا على ذلك الولد الواحد، أما لو أعطاك عشرة من الأولاد كان حكمه وتكليفه لازما على الكل،
فثبت أنه تعالى كلاماً كان أكثر عطاء كان أوسع ملكاً(1)؛ فملكه - سبحانه - يزداد بعضاً وإنعامه؛ لاقضاء هذه الزيادة زيادة حسن السياسة بإقامة العدل الذي يحفظ لكل مسوس ما أنعم عليه، بخلاف الملك الذي تنتقص سياسة بنقص ما في يديه من موجبات ملكه على عبده ومملوكة من العطايا والإنعام، وهذا الاقضاء مما يستلزم كونه مستعداً به.

وإذا كان لفظ: "ملك" على ما سبق ذكره من وجوه رعاية وحفظ وتدير شؤون رعيته، وحمايتهم من المهاجمين عن أمره، والخليجيين عن حكمه، وإقامة عدله، وزيادة عطائه وإنعامه؛ فهو أيضاً يقضي رحمته بهذه الرعية تفضلاً منه - سبحانه - وتكراراً يدل على ذلك اختصاص لفظ الملك.

هذه الرحمة يوم القيامة في قوله - تعالى: "أَلْخَأَيْنَىْ بَيْنَ الْخَيْبَةِ وَالْحَكُّ"(2) ففي إضافة الملك إلى الرحمن دون ما الله - سبحانه - من صفات أخرى في هذا إشارة إلى ما الله - سبحانه وتعالى - من رحمة يعبده في ذلك اليوم، الذي تلمس فيه الرحمة، ويلاذ فيه بجانب الرحمن الرحيم.. فحسب الناس، في هذا اليوم، هو إلى رب الرحمن، رحيم، وأن ما ينال العصاة والمنذنين، والمنحرفين من عذاب، هو ممسوس برحمة الله، لا يراد منه، إلا تطهير هذه النفس الخبيثة، وإلا شفاء هذه القلوب المريضة.. ليست النقطة ولا التواصل مما يتصل بهذا العذاب الذي يلقاه العصاة.. فإنه لا ينتمق ولا يتشقى إلا من كان عاجزاً فقدر، وإنما من كان عدواً، فقه، ثم انتصر.. وتعلى الله عن ذلك علوً كبيراً. فالناس خلقه، وصنعة يده.. هو الذي أوجدهم، وربيهم، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة.. ولا يتفق الانتقام والتشقى، مع

(1) مفاتيح الغيب (٢/٢٠٦).
(2) سورة: الفرقان آية ٢٦.
الإحسان والإعماق. وإن صح ولزم الإصلاح، والتقويم"(1) فمن اقتضاء نعمةه ظاهرة وباطنة رحمته بعبادته في الدنيا والآخرة وهذا يستلزم كونه مستعزا به، ورحمته في الآخرة دليل على أنه لا ناج من قهره في هذا اليوم إلا من نالت رحمته. وهذا يقتضي زوال الخوف بحصول هذه الرحمة. كما قال الرازي: "لم أثبت لنفسه الملك أرده بأنه وصف نفسه بكونه رحماً، يعني إن كان ثبوت الملك له في ذلك اليوم يدل على كمال القهر، فكونه رحماً يدل على زوال الخوف وحصول الرحمة"(2). وهذا يستلزم كونه الملجأ والمعتصم به في كل أمر، وهذا يستلزم كونه مستعزا به.

ومما يدل على اقتضاء لفظ: "ملك" كمال رحمته - سبحانه - سبحانه - سبحانه - سبحانه:  

رحمته سبحانه على ملكه وذلك في قوله - تعالى -:  

الرحمن الرحمن  

قوله - تعالى -:  

سير لله الذي لا إله إلا هو  

ألا هو علية الغيب والشهيدة هو الرحمن الرحمن  

هو الله الذي لا إله إلا هو  

الملك القدّوس  

فبعد أن جمع - سبحانه - سبحانه به تفرده بالوحدانية علمه للغيب والشهيدة ورحمته (رحمانية ورحيمة) بنى على التفرد مع الجمع صفات جلاله، وأول هذه الصفات: ملكه - سبحانه - لتمتزج صفات جلاله بالملك مع صفات جماله بالرحمة، وهذا يجعل لفظ "ملك" يقتضي كمال الرحمة، وهذا الكمال يقتضي كمال الإحسان السابق مع لفظ: "رب" في قوله  

(1) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب: بعد 1390 هـ - الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة: بدون (10/10).  
(2) مفاتيح الغيب (1/200).  
(3) سورة: الفاتحة آية: 3.  
(4) سورة: الحشر آية: 22، 23.
- تعالي: "قل: أعود يربو آتاك!" فقد أولا كونه ربا للناس ثم أرفه بكونه ملكا للناس، وهذه الآيات دلالة على أن الملك لا يحسن ولا يكمل إلا مع الإحسان والرحمة(1) لتكامل المعاني في استلزم كونه - تعالي - مستعضاًا به ومن هذه المعاني وتلك الأحكام اقتضاء كمال الرحمة في لفظ: "ملك" كمال قال الرازي: "من أحكام كونه ملكا كمال الرحمة، والدليل عليه آيات: إحداهما: ما ذكر في هذه السورة(2) من كونه ربا رحمانا رحيمًا وثانيها: قوله تعالى: هُوَ الرَّحِيمُ الَّذِي لا إلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ هُوَ الْأَمِينُ، هُوَ الْمَلِكُ، الْخَلِيْفَةُ ۗ وَهُوَ الْمُلِحْلُوتُ ۖ فَتَمَّ تَمَامُ الْمَلِكَ يَجِلَّهُ - سبحانه - أليف بمقام الاعتماد به والالتباء الذي يستلزم كونه مستعذاً به.

كذلك مما تقتضيه الفصلة في لفظ "ملك" كمال الانقياد والطاعة الذي يتوقف عليه صلاح أمر العباد باتباعهم لملكهم: كما قال الرازي: "الحكم الرابع: للملك أنه يجب على الرعية طاعته فإنه خلفه ولم يطيعوه وقع الهرج والمرج في العالم وحصل الاضطراب والتشويش ودعاه ذلك إلى تخريب العالم وفقدان الخلق، فلما شاهدتهم أن مخالفه الملك المجازي تفاضي آخر الأمر إلى تخريب العالم وفقدان الخلق فانظروا إلى مخالفه ملك الملكوك

(1) مفاتيح الغيب (1/2006).
(2) يقصد سورة الفاتحة في قوله - تعالي: كتب الفاتحة
(3) مفاتيح الغيب (1/2006).
كيف يكون تأثيرها في زوال المصالح وحصول المفسدة؟ وتمام تقريره أنه تعالى بين إنّ الكفر سبب لخراب العالم، فقال تعالى: {تملك أن يتموت نفطري منته وتنسب الأراضي ويجبر للعملاء، هم أن دعوا للرحمة} (1) وبين أن طاعته سبب للمصالح قال تعالى: {وأمرأهك بالصورة واصطبر على أنه لا تملك رقى تمحون} (2) في أيها الرعية كونوا مطيعين لملوككم، ويا أيها الملكون مطيعين لملك الملوك حتى تتنظيم مصالح العالم (3)، فأفاد بذلك أن وجوب الاتقان والطاعة لأمر الملك سبحانه يحصل معه صلاح أمر العباد وإعمار الأرض، وأنفاء الإفساد فيها، ولما كان أعمال السحرة وأرباب الشياطين من التفرقة بين المرء وزوجه ينشر البغضاء والعداوة بين الناس، كذلك ما يفعله شياطين الناس والجن من نفخ ووسوسا في صدور الناس بما يرتتب عليه من هذه العداوة وتلك البغضاء ينشر الفساد في الأرض. ويكثير معه الهرج وغيره من أمور الإفساد كان الاتجاه والاعتصام بالملك سبحانه - والاتقان لأمره وطاعته حصنًا مانعا من هذا الإفساد، فتحقق بذلك ما تقتضيه تلك الفاصلة في قوله تعالى: "مَلِّيْجَ أَلْكَانِ" من استلمام كونه سبحانه وتعالى مستعدًا منه.

وفي إضافة لفظ الملك للناس دليل على انفراده - سبحانه وتعالى - بكونه الملجأ والملاذ للاعتصام به من دون الناس الذين يعتقد فيهم القدرة على شيء، وتصريف أمر أو غيره؛ فتتعلق محبة الناس بهم وخشيتهم لهم.

---

(1) سورة: مريم آية: 90، 91.
(2) سورة: طه آية: 132.
(3) مفاتيح الغيب (1/2006).
كذلك حتى تصل تلك المحبة وهذه الخشية إلى اتخاذهم أنداداً من دون الله، قال تعالى: "وَسُرِّبَ اللَّهُ وَالنَّاسُ مَنْ يَتَمَكَّنُ آنَذاكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَيْسَ آنَذاكَ مَنْ يَتَمَكَّنُ آنَذاكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَالنَّاسُ" (1)، ويتربى على اتخاذهم أنداداً من دون الله التقرب إليهم والأنقياد والطاعة من دون الله، وهؤلاء الأنداد لا يتعدون كونهم ناس كبقية الناس يجري عليهم ما يجري على باقي الناس من أمر الله في خلقه، فأعلم - سباحه - خلقه بأنه رب من يعظمونهم ففي إضافة لفظ الملك إلى الناس قد "خص الناس بالذكر" وهو تعالى جمل ذكره رب جميع الخلق وملكهم، لأن بعض الناس كان يعظمهم الله أنّه رب من يعظمونه وملكهم يجري عليهم سلطانه وقدره(2) وهذا يجعله أحق بالاعتقام والانتشار من غيره، مما يحقق كمال استلزم كونه - سباحه وتعالى - مستعذباً به في التدرج من العموم إلى الخصوص من قوله تعالى: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْ آمِينِ حَتَّى يَنتَهَى هِذَا الخَصْوَصُ بِمَا يَكْمِلُ اسْتَلْزَامَ كُونِهِ تَعَالَى مَسْتَعَذَّا بِهِ وَهُوَ".

(1) سورة البقرة، آية: 165.
كمال التضرع والقربى

وهذه الفاصلة تحكم علاقة العبد بربه وملكه في الآثين الساقبتين في علاقة العموم والخصوص إذ هي أخص الثلاثة بما يستلزم كونه – سبحانه وتعالى – مستعذبا به؛ لكونها بمثابة توجه وكشف للعبد كيف تكون علاقته بربه

وملك أمره، وذلك لا يخرج عن كونه 50 - 77 - 12 - حلب العلي

سبحانه وتعالى – المتفرد بالعبودية لإنفراده بالألوهية؛ فإذا كانت الروبية تقتضي المنحة من الموال - سبحانه وتعالى - لخلق بالتربية والتنطهف، كذلك كونه ملكهم يقتضي سلطانه القاهر ونفاد أمره عليهم، فإن ألوهيته تقتضي تحقيق العبودية بالضرع له - سبحانه وتعالى - تقربا وتألقا وتذللا منهم، ومن هنا كانت هذه الفاصلة أخص الثلاثة لكونها تظهر بطرق الحقيقة والمطابقة - فيما أعلم - حق الله على عباده، بخلاف الفاصلتين السابقتين اللتين تظهران بذلك الطريق - فيما أعلم - حق العباد على الله

سبحانه وتعالى - في صلاح أمرهم كما تظهران بطرق التضمين حقه

سبحانه - عليهم ووصفه ربهم وملكهم، فنظم الآيات الثلاث بهذه العلاقة

العموم والخصوص في استلزم كونه تعالى مستعذبا به – تحكم صلة العبد وعلاقته بربه ومن ثم قدم الروبية لعمومها وشملها لكل مروب على حد سواء، فلا فعل لأحد إلا وهو خلقه سبحانه وتعالى وهو الباعث عليه، وآخر الإلهية لخصوصها لأن من لم يتقيد بأمره ونواهيه فقد أخرج نفسه من أن يجعله إلهه وإن كان في الحقيقة لا إله سواه، ووسط صفة الملك لأن الملك هو المتصرف بالأمر والنهي، وملكه لهم تابع لخلقه إياهم فملكه من كمال
ربوبيةه، وكونه إلههم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه، وملكه يستلزم إلهيته وتقتضيها"(1).

وقد تأتي الخصوصية من وجه آخر وذلك من خلال كون الإله هو الجامع لصفات الجمال والجلال، والله استحق العبودية وانفرد بها دون سواه، فلفظ الرب محقق بعوم إنعامه، ولفظ الملك بسلطان قهره وقررته "أما الإله فهو الجامع لجميع صفات الجمال، ونعوت الجلال فيدخل فيه جميع الأسماء الحسنى، ولتضمنها لجميع معاني الأسماء الحسنى كـ المستعذج بـ أن يعذر، وقد يوقع ترتيبها على الوجه الأكمل الدال على الوحدانية لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم أن له مربى، فإذا درج في العروج في درج معرفته سبحانه علم أنه غني عن كل والكل إليه محتاج، وعن أمره تعالى تجري أمورهم فيعلم أن ملكهم، ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد إبداعهم أنه المستحق للإلهية بلا مشارك له فيها"(2).

ومن هنا تقتضي هذه الفاصلة في قوله - تعالى - "إِنَّ أَلْطَأَرَسَ" من المعاني ما يكمل به وجه معنى استلزم كونه مستعداً به، وحقيقة بالاعتصام والانجاء منفرداً ومجرداً من الشريك في ذلك الأمر؛ فكمال التضرع والقربي المستفاد من معاني الألوهية والتي تقتضي إفراد العلي - سبحانه وتعالى - بالعبودية وتنزيهه عن الشرك خفيه وجليه، ومن هذا تقتضي هذه الفاصلة كمال الإخلاص في العبودية لله - سبحانه وتعالى - والتي توجب نفي الشرك

(1) نظم الدرر (٣٨/٢٢).
(2) السراج المتبحر في الإحاطة على معرفة بعض معاني كلام ربيا الحكيم الخبير لشمسم الدين، الخطيب الشريبي: ٥٩٧- الناشر: مطبعة القاهرة، ١٢٨٥ هـ (٤/١١٥).
مع الله فحقيقة الإخلاص: التبري عن كل ما دون الله تعالى(1)، فتوجيه
الاستعادة الله سبحانه - في دفع الشرور الظاهرة والباطنة يتطلب إخلاصا
من العبد في نفي اعتقاده أن هناك من يدفع ذلك الشر عنـه غير الله -
 سبحانه وتعالى - فكامل القرفي من الله يستوجب هذا الإخلاص ، وإذا كيف
يرجو العبد القرفي من الله وقليبه متعلق بغيره في عبادته وأعماله، قال تعالى
: ﴿وَمَا أُوْزِرْتُ إِلَّا لِيُعْبُدَ أَنْتَ الْمَلِّيْلَى ﻣُحْيَيْنِي ﻃَبْعَةً وَتَعَمِّدْنِي
رُكُوًّا وَنِضْرَبُوا ﺍًلْزَمْرَةَ وَذَٰٔلِكَ دِينَ ۛ وَذَٰٔلِكَ ﺑِنّ أَنْـتَ ﺛَبَارَةً
ۖ﴾(2) فعبادته سبحانه - سبحانه - تستوجب الامتثال والثبات حيث "العبادة
امثال أمر الله تعالى كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر، مع
المبادرة بغـابة الحب والطيب والتعظيم، وذلك مع الاختصاص لنؤا يمل
الإنسان فيخل أو يحصل له الإعجاب فتقدس عبادته(3) والثبات غاية الثبات
يكون بإخلاص الدين الله - سبحانه - "بحيث لا يكون فيه شوب شيء مما
يكدره من شرك جلي ولا خفي(4) كما يتحقق الإخلاص بنسان الخلخ في
الأعمال، وعدم العجب من مطالعة النفس، فهو يعد الله من رؤية للعمل،
يعبد الله حياء وقربى، يعد الله خوفا وخشية، يعد الله وليس كل همه
الحصول على ثواب عمله بقدر حرصه على رضا ربه؛ وذلك لكون "حقيقة
الإخلاص بأنه إفراد الحق في الطاعة بالقصد مع نسيان الخلخ في الأعمال
والتوصل إليه بالتوقى من ملاحظتهم مع التنقيع عن مطالعة النفس برؤية
العبد نفسه عباد مأمورا لا يريد ثوابا، جاعلا كل شيء وسيلة إلى الله.

---

(1) المفردات ص ۲۳۹
(2) سورة: البينة آية: ۵
(3) نظام الدرر (۲۲/۲۲۲/۱۹۴۳)
(4) نفسه (۲۲/۲۲۳/۱۹۴۳)
ومعنا ذلك مما تقضيه الفاصلة من معاني الإخلاص تتعلق نجاتهم به في الدنيا، لأنه لما كان مدار قبول العمل في الآخرة على الإخلاص بنفي الشرك عن المولى - سبناه - في توجيه جميع الأعمال خالصاً له - سبناه - كانت النجاة مما يحيق بالعبد في الدنيا من شروط متوقفة على هذا الإخلاص، ومن هذا القبيل قوله تعالى: (1) فإنا نكشرهن على الله متخليداً (شورة نموذجاً) فأصحاب الفلك وإن نكشوا كافرين بعد إخلاصهم إلا أنه كان سبب نجاتهم، وعلهم يقين أنهم لا ينجيهن إلا المولى - سبناه - تعالى - فكان إذا وقع عليهم هول توجهوا له مخلصين. (2) وهذا انتقال إلى إلزمهم بما يقتضيه دعاؤهم حين لا يشركون فيه إلهاً آخر مع الله بعد إلزمهم بواجبات اعترافاتهم فإنهم يدعون أصنامهم في شؤون من أحوالهم ويستنفرهون ولكنهم إذا أصابهم هول توجهوا بتصيرهم إلى الله (3) ومنه كذلك قوله: (4) وإذا غشيتهم نوح كأظلة دعاو الله مخلصين، (5) (6) (7) (8) (9)

وهذا دليل على أن جميع الناس معترفون بأن لا ينجيهن ولا يدفع عنهم شروط ما فيه إلى إلهم وعبادتهم الواحد - جل جلاله - ولهذا يتوجهون بالدعاء مخلصين إليه فهذا دليل على "أن الكل معترفون به غير..."

---
(1) نسخة (١٩٣/٢٢).
(2) سورة: التوبة أية: ٦٥.
(3) التحرير والتنوير (١٩٣/٣٢).
(4) سورة: لقمان أية: ٣٢.
أن البصير يدركه أولاً ومن في بصره ضعف لا يدركه أولاً، فإذا غشيء موج ووقع في شدة اعترف بأن الكل من الله ودعاه مخلصاً أي يترك كل من عداد وينسي جميع من سواه، فإذا نجاه من تلك الشدة قد بقي على تلك الحالة(1) ومن هنا كان اقتساء خصوص الألوهية في قوله تعالى: "إِنِّي أُثْبَِتٌ" بما أفادته من معاني كمال الإخلاص مستلزمًا كونه تعالى مستعذاً به.

وكما يقتضي كمال القربي إخلاص العبادة الله - سبحانه وتعالى - كذلك يقتضي كمال التضرع إليه - سبحانه وتعالى - والخضوع والتذلل له ولهذا إذا كان الدعاء من العبد مقرناً بهذا التذلل المظهر لفرقه إلى ربه وخلقته، واجبته إليه في جميع شئونه كان أقرب للإجابة، كما ينبغي تضرعه وتذلله لمعبوده ومولاه كمال عجزه في حضرته المولى - سبحانه وتعالى - ومن هذا الدعاء المقرّون بالضرع قوله تعالى: "أَدْعُوا رَبَّكُمْ بِخِفْقَيْنٍ إِنَّهُ لَا يُجِبُّ أَلْمَتَابِيِّكُمْ(2)" فإذا كان التضرع في مقابل خفية بمعنى الإظهار، فكذلك من حقيقته الخشوع والخضوع والتذلل فقاله: "ضَرَعًا" في الآية الكريمة "أي مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر، وحقيقة الخشوع وقوله: خفية أي تخفون في أنفسكم مثل ما تظهرون؛ قال شمر: يقال: ضرع له وهو ضرارع بين الضراعة، وحولاء قوم ضرع، أي أذلاء، وهم ضرعة أي متضرعون، والتضرع إلى الله: التخشع إليه والتذلل(3)."

(1) مفاتيح الغيب (2/526).
(2) سورة الأعراف آية: 55.
(3) نظم الدرر (7/142).
وخضوع العبد لربه وإظهار عجزه وحاجته وفقره حال عبادته
ودعائه من تحقيق مقاصد الألوهية التي ينفرد بها الرعب العلي - سبباه -
موضوعا بكمال العلم والقدرة والرحمة فكان "المقصود من الدعاء أن يصير
العبد مشاهدا لحاجة نفسه، ولعجز نفسه، و🚫 مشاهدا لكون مـولاه موضوـفا
بكمال العلم والقدرة والرحمة، فلك هذه المعاني دخلت تحت قولـه: ادعوا
ربكم تضرع مما إذا حصلت هذه الأحوال على سبيل الخروص، فلا بد من
صونها عن الرياء المبطل لحقيقة الإخلاص، وهو المراد من قولـه تعالى:
هـفاً ويبقى المقصود من ذكر التضرع تحقيق الحالة الأصلية المطلوبة من
الدعاء والمقصود من ذكر الإخفاء صون ذلك الإخلاص عن شوائب الرياء،
وإذا عرفت هذا المعنى ظهر لك أن قوله - سبباه - تضرعاً وخفية مشتمل
على كل ما يراد تحقيقه وتحصيله في شرائح الدعاء(1)، ولـهذا لا ملـا
للإنسان حال شدته وتعترضه لما يخشى إلا إلى الله - سبباهـ - مظهرا
ضعفاً وعجزه تضرعاً وتذللا حتى وإن كان منغمـا في شرـكه إلا أنه في
حالة كونه تذللا يحقق معنى العبودية في خشوعه وتضرعه؛ فيرفع الله عنه
بلاه ويفرح كرهه ومن ذلك قوله تعالى: "فَقَلَّ مِنْ يَنْبِئُكُمْ مِنْ ظَلْمَتِ الْأَيْرِ وَالْبَحْرِ
نْدَعُوهُمَّ تَصْرِيـَةً وَحَقْقًا لَا يَنْعِمُهَا مِنْ هَذِهِ. لَكُونَ مِنْ اْتَّبَعِينِ" (2)
فكان "اجتماع هـذه
الأسباب الموجبـة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى، وهذا
الرجوع يحصل ظاهرا وباطنا، لأن الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في
حضرته الله تعالى، وينقطع رجاوه عن كل ما سوى الله تعالى(3)؛ فإذا كان

(1) مفاتيح الغيب (۴/۱۴۰/۲۸۰).
(2) سورة: الأنعام آية: ۶۳.
(3) مفاتيح الغيب (۳/۱۹/۱۳).
ما تقصيه الفاصلة في قوله تعالى: "إِلَّا أَنْ آَلَّا إِلَى إِبْرَاهِيمَ" إفراده بالعبدية في توجيه الأعمال والدعاء إليه من الناس جميعاً فهذا يحقق كونه تعالى المتفرد بأخلاقه في استلزام كونه - تعالى - مستعذباً به.

وهذا الاستلزام مستفاد من تدرج العلاقة من العلوم إلى الخصوص في الآيات الثلاث في قوله تعالى: آَلَّا إِلَى إِبْرَاهِيمَ (1) تأكيد آَلَّا إِلَى إِبْرَاهِيمَ (2) إلى جانب ما تقصيه كل فاصلة على حدة في حالة الوقف، مما ذكر من المعاني التي تقضيها الفاصلة في هذا البحث قريب إلى جانب ما تقصيه معاني الرعوية، والملك، والألوهية؛ فهذا تعجز عن استيفائه الأقلاع، وعلى ذلك اندرج تحت هذه الاستعذابة جميع الاستعذادات التي تشملها معاني الرعوية، والملك والألوهية؛ ويدل على ذلك إعادته لفظ الناس مظهراً في كل مرة دون ضميره "لأن الضمير إذا أعيد كان المراد به عين ما عاد إليه"، فأشار بالإظهار إلى أن كل صفة منها عامة غير مقيدة بشيء أصلاً، واندرج في هذه الاستعذابة جميع وجه الاستعذادات من جميع وجه التربية وجميع الوجه المنسوبة إلى المستعذ من جهة أنه في قهر الملك بالضم، وجميع الوجه المنسوبة إلى الإلهية لنقلاً يقع خلل في وجه من تلك الوجه تنزيلاً لاختلاف الصفات منزيلة اختلاف الذات إشعاراً ببعض الآفة المستعذ منها، ولم يعط بالواو لما فيها من الإيحان بالمغيرة(1); فالتكرار هنا جاء لمزيد بيان لأن عطف البيان يحتاج إلى مزيد الإظهار، ولأن هذا التكرار يقضي مزيد شرف الناس(2) وهذا يجعل ما يفيده لفظ الناس في كل آية متفقاً عن الآخرين؛ ففرق بين الناس ينعمون في ظل تربية وصلاح ربههم، وناس

(1) نظم الددر (22/3/8/22).
(2) مفاتيح الغيب (22/3/8/237).
مجزرون بسلطان ملكهم، وناس يتلذذون بالحب والقربى للههم، فمن حقق الألوهية من الناس جمع بين أطراف الشرف كله من روبية وملك، بخلاف كل صنف من صنفي الناس السابقين في الأيتين وذلك لأن "الله م من ظهر بلطيف صنائعه التي أفادها مفهوم الرب والملك في قلوب العبد فأخذوه واستأتسوا به ولجؤوا إليه في جميع أمورهم، وطبع احتجابا بكبريته عن أن يحارب به أو بعضة من صفاته أو شيء من أمره، فهبتهم العباد ودعاهما الحب إلى الوله شوقا إلى لقانه، وزجرتهم الهيبة فجزعوا خوفا من طرده لهم عن فنانه، وكرر الاسم الظاهر دون أن يضمر فيقول مثلا: "ملكهم" "الله" "الله" تحيقا لهذا المعنى وتقويا له بإعادة اسمهم الدال على شدة الاضطراب المقتضي للحاجة عند كل اسم من أسمائه الدال على الكمال المقتضي للغنى المطلق، ودلاة على أنه حقيق بالإعادة قادر عليها لبيان أنه المتصور فيهم من جميع الجهات وبيانا لشرف الإنسان ومزيد الاعتماد بمزيد البيان"(1)، أما الصفات الثلاث فهي متحقة على ذات واحدة؛ فالاستعذة تقع بمجموعها حيث "المقصود الاستعذاة بمجموع هذه الصفات الواقعة على ذات واحدة حتى كأنها صفة واحدة، وقدم الروبية لعمومها وشملها لكل مربوب على حد سواء، فلا فعل لأحد إلا وهو خلقه - سبحانه و تعالى - وهو الباعث عليه، وأخر الإلهية لخصوصا لأن را لم يتقيد بأموره ونواهيه فقد أخرج نفسه من أن يجعله إلهه وإن كان في الحقيقة لأ إله سواه، ووسط صفة الملك لأن الملك هو المتصور بالأمر والنهى، وملكه لهم تابع لخلقه إياه فملكه من كمال روبيته، وكونه إلههم الحق من كمال

(1) نظم الدرر (22/227).
ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه، وملكه يستلزم إلهيته وتقتضيها"(1)، وعلى ذلك كان تجاذب علاقة العضوم والخصوص استكمالاً لاستلزم المعاني لكونه - سبحانه - مستعاذاً به، وذلك في كل ما يستعاذ منه.

(1) نقصه (22/428)
المبحث الثاني:
تجادب العلاقة بين الإجمال والتفصيل وما يستلزم كونه مستعذا منه، وبين ما تقتضيه الفاصلة من:
- كمال الحذر من جنسه.
- كمال الحذر من فعله.
- كمال الحذر لتعدد جهته.
توطئة

سبق الحديث عن كون العلاقة التي تربط الآيات الثلاث الأخيرة في سورة الناس في قوله تعالى: "من شَرْيٍ الرَّوْسَاتِ الْجَنَّةِ" الذي يُوْسِف في صُدُور أَنْثَاَيْسٍ من أَلْجَّسَةٍ وَالْمُوسِسٍ، هي علاقة الإجمال والتفصيل لكون رأس العلاقة في قوله تعالى: "من شَرْيٍ الرَّوْسَاتِ الْجَنَّةِ" رأس المعنى المجمل في الآيات الثلاث؛ حيث يجمع بين جنس الموسس وكل ما يصدر منه، وجميع الجهات التي يتأتى منها، وهذا المعنى الذي تفيده هذه الآيات الثلاث هو: استلزم كونه مستعداً منه؛ وذلك لتعلق جميع الشرور بهذا الاستلزم؛ لكون الشر إذا صدر مما يملك التأثير في داخل الإنسان فيغير توجهاته ونمط حياته بما يأتي عليه بالوبال والخزي؛ فتكون الإنسان أودي بنفسه إلى الهلاك، وهو بعد ذلك يحمل الشر في نفسه وصدره، ولا يزال هذا الشر يربو وينضج ويستنوي؛ فيخرج ويبض ويفرخ حتى يدمر كل ما يصيبه، وكل هذا الشر منشئه وجهته يمثل بعض الثقفين من الجن والأنس، وهذا على العموم فكما يووسس الجن للأنس، كذلك يووسس الأنس للأنس، والجن للجن، وكل هذا يحمل المعنى بما يحمل من إحسانه وثرائه؛ فالآيات الثلاث بما تحمل من علاقة الإجمال والتفصيل في بيان استلزم كونه مستعداً منه تقتضي كل فصلة منها كثيراً من المعاني التي تتجاذب مع المعنى الكلي للآيات الثلاث داخل هذه العلاقة. كذلك تتجاذب مع المعنى العام للسورة الكريمة والذي يفيد الاعتصام والانطواء بالحق - سبحانه - من كل شر خفي؛ وكان المعنى الذي تقتضيه الفصلة الأولى هو:
كمال الحذر من جنسه.

إذا كان المعنى الذي يمثله الثلاث آيات الأخيرة في السورة الكريمه هو استلزم كونه مستعذرا منه فهذا يدل على كمال الحذر منه، ولكن هذا الحذر له مواطن متعددة يمثلها كل مقتضى في هذه الآيات، فكان مقتضى الفاصلة الأولى هو كمال الحذر من جنس الموسوس بالبشر، وذلك في قوله تعالى:

(1) من سَنِيَّ الْوَسَعِ الْأَخْطَابِ) ، وذلك ليجمع بين كل من ينفث الشر ويهمس به، وبين فعل الوسوسا ذاتها، وبين كل موسوس كان من الجن أو الإنسان، وبين كل ما يؤدي إلى الشر من جراء هذه الوسوسا؛ فكل صاحب خاطر شرير يوقع في نفس غيره من الشرور ما يضمه موسوسا، كذلك كل من يتكلم كلاما خفيا من الشياطين، والناس، وذلك مستفاد من معنى الجنس في تعريف قوله: "الْوَسَعِ الْأَخْطَابِ" حيث "التعريف في الوسواس تعريف الجنس وإطلاق الوسواس على معنيه المجازي وال الحقيقي يشمل الشياطين التي تلقي في أنفس الناس الخواطر الشريرة، قال تعالى: (2) فَوَسَعَ مَنْ أَشَابَنَ) ، 1 ويشمل الوسواس كل من يتكلم كلاما خفيا من الناس وهم أصحاب المكائد والمؤامرات المقصود منها إلحاق الأذى من اغتيال نفوس أو سرقة أموال أو إغراء بالضلال والإعراض عن الهدى، لأن شأن مذكرة هؤلاء بعضهم مع بعض أن تكون سرا لئلا يطلع عليها من يريدون الإيقاع به، وهو الذين يترصبون برسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين ويعلمون الناس بأذيتهه 2، ومعنى الجنس في هذه الفاصلة "الْوَسَعِ الْأَخْطَابِ" كما يشمل كل من

---

(1) سورة الأعراف آية: 20.
(2) التحرير والتنوير (133/30).
يتأتي منه وسوسة، كذلك يشمل كل فعل وسوسة حيث نظم الوسواس اسم
بمعنى الوسواس وهو يشمل كل كلام نفي مكرر؛ فيجمع بذلك بين الهمس
والتنكر بين إلقاء المعاني في القلب وتأكيدها وهذا مدعاة للقبول وهذا
مستفاد من نظم الوسواس كما قال البقاعي - رحمه الله - "هو اسم بمعنى
الوسواس كالزلزال بمعنى الزلزلة، والمراد بالوسواس، سمى بفعله مباليـة
لأنه صفتة التي هو غاية الضرورة عليها كما يقول في العبد بتسليمته
البدل، والوسواس الكلام الخفي: إلقاء المعاني إلى القلب في خفاء وتكوير;
كما أن الكلمة الدالة عليها "وس" مكررة، وأصلها صوت الحلي، وحديث
النفس، وهمس الكلاب، ضعوف لفظة مناسبة لمعناه لأن الوسواس يكرر ما
ينفثه في القلب ويكوّن في خفاء ليقبل، ومصدره بالكسر كالزلزال كما قال
تعالى: ﴿وَزَلَزَلَّ فَتَأْسَرَ لَّهُ﴾ (1) وكل مضاعف من الزلزلة والرضوضة معناه
مكرر، والوسواس من الجن يجري من ابن آدم مجرى الدم (2) - كما في
الصحيح، فهو يوسوس بالذنب سرا ليكون أجمل، ولا يزال يزيدنه ويثير
الشهوة الداعية إليه حتى يواقع الإنسان، فإذا وافقه وسوس لغيره أن فلانا
فعل كذا حتى يفضحه بذلك، فإذا افتضح ازداد جرأة على أمثال ذلك لأنه
يقول: قد وقع ما كنت أحذر منه من القالة، فلا يكون شيء غير ذلك كأن
وشرح التحبيب إلى الإنسان بما يميل إليه طبعه حتى يشكله في رذيلة الطبع
وظلمة النفس، فينشأ من ذلك شرور لازمة ومتعدية أضرها الكبير والإعجاب
اللذان أهلكا الشيطان، فيوقع الإنسان بها فيما وقع نفسه فيه، ويشاؤا من

(1) سورة: الأحزاب آية: 11.
(2) الحديث منفّق عليه من حديث علي بن الحسين عن صفية بنت حبي "الجمع بين الصحيحين
البخاري ومسلم (4/259)."
العدد الخامس والعشرون للعام 1212
م
الجزء الخامس
الجسء الخامس
موازناتبلاغية بين استدلال العلاني واقتصادات الفاصلة، رسالة الناس (نوفمبر)

الكبر الحقد والمسجد يترشح منه بطر الحق - وهو عدم قبوله، ومنه الكفر والفسوق والعصيان، وغمض الناس - وهو احتقارهم المعلوم من قول الشيطان (1)، وهذا كله يستلزم كونه مستعاذا منه؛ لما في فعله من الضرر اللاحق للموسوس إليه، مع تعدي هذا الضرر إلى الفيمر فيورد جميع المهالك، ومن هنا اقتصا الفاصلة القرآنية بيان الدواء اللازم لهذا الداء، مع بيان كيفية العلاج وذلك في قوله - تعالى: "آية الكرسي" وهو " الذي عادته أن يخشى أي يتورى ويتأخير ويخفى بعد ظهوره مرة بعد مرة. كلما كان الذكر خمس، وكلما بطل عاد إلى وسوسه، فالأمر له كالمقمع التي تقمع المفسد، فهو شديد النفور منه (2) فصقل الخمس لازمة له وعادة مع كل ذكر الله.

وهو إذا كان يدل على ضعف وقوته ملائم ذكر الله - سبحان له تعالى - وذلك مع شدة شره، وفعله بهذه الوسوسة التي توقع الشر والبغضاء بين الناس، وبما تفعله أيضا من تدمير لمن تقع الوسوسة في صدره بما يحصله من ذلك من كبر وفقد وحد تصل إلى بطر الحق وغمض الناس، وهذا يدل على كون الذكر معسه على اللسان لمن وفقه الله - سبحانه وتعالى - لذلك إلا أنه أفضل ما يتحصن به المرء من كل شر، فيه كانت النقوى والقربى من الله والبعد عن هذه الوسوس قالت تعالى: "إِنَّمَا يَنْزِلُ مِنَ الْآتِيَانِ الْأَجْمَالُ بِالْغَيْبِ عَلَيْهِ شُعَوْبُ الْأَفْغَانُ" (3) فكما كانت عادة المتلفين إذا شعروا بنزغ

(1) نظم الدرون (22/31 وما بعدها).
(2) نفسه (22/22 وما بعدها).
(3) سورة: الأعراف، آية: 200 201.
الشيطان ووسوسته تذكروا واستعاذوا بالله - جل وعلا - منه؛ فرجعوا بذلك إلى معية الحق - سبحانه - بعد وسوسة الشيطان لهم = كانت أيضا عادة الشيطان إذا سمع ذكر الله - جل وعلا - خنس ودحض شره عن الذي يووسوس إليه؛ وبذلك يخرج العبد من اتباع الشيطان في وسوسته بهذا الذكر، وهذه الوسوسة هي معية الشيطان، والداخل فيها داخل في حزبه حتى يصير من جنده في نشر الشر بين الخلق بما يززع الشيطان في صدره من الوساوس والشرور، ولا ملَّا ولا منجى من هذا سوء الدخول في معية الله - سبحانه - وحصنه بالذكر والاستعاذة، وكما يشمل ذكر الله التحفظ بالاستعاذة من نزع الشيطان يشمل أيضا ذكر أعمره ونواحيه حتى يبصق العبد السداد والحق، فكان المعنى في هذه الآية "تثأكود وتقرير لما تقدم من وجوه الاستعاذة بالله عند نزع الشيطان، وأن المتثقفين هذه عادتهم: إذا أصابهم أحد نزع من الشيطان وإمام يووسوس تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه، فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم"\(^1\).

كذلك مما تقتضيه هذه الفداخلة في لفظ: "أَتْخَضُّسِ" من كمال الحذر من جنسه، وذلك من إحسان النظم الشريف هو عدم اقتصر الخناس على شيطان الجن فهناك من شياطين الأنس من هو أشد خطرنا في وسوسته من شيطان الجن، وذلك إما لطول صحبة أو شدة قربة أو بلاغة لسان وحلافة منطق؛ فيقع في صدر الساعم له موقعا أشد من وسوسة الشيطان قال - تعالى: فوَقُلْ أَتْخَضَّسِ ۖ لَا تَخْضُسِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ يَبْلَغُونَ ۖ لَا يَضْعَفُونَ ۚ وَالَّذِينَ ۖ يَوْقُوُّونَ بِهِ ۖ وَيَشْدُرُونَ ۖ وَيَنْفُرُونَ\(^2\)» فعلى ذلك أفاد........

\(^1\) الكفاح (2/191).
\(^2\) سورة الأعام آية: 112.
التعريف في قوله "الْحَسَّاس" الجنس ليشمل كل من يرده ذكر الله، أو يرده ما أمر الله به، وما نهى عنه مما يقيم حياة الناس ويدفع عنهم الشرور، وعلى ذلك الكل من أصحاب الشرور يوسوسون "يوسوس شيطان الجن" إلى شياطين الإنس، وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض; وعن مالك ابن دينار: إن شيطان الإنس أشد على من شيطان الجن، لأن إذا تعودت بالله ذهب شيطان الجن على، وشيطان الإنس يجري إلى المعاصي عيانا زخفا للقول ما يزينه من القول والوسوسه والإغراء على المعاصي ويوسوه غزوراً خدعا وأخذًا على غرةٍ (1); فكان في ذكر الله اعتياً والتجاء لما أمر به، وبعدا لما نهى عنه دفعا لوسوسه هذا الخناس، أي كان أنسة أو جنّ، والخناس الجني أمره معلوم في هذا: فهو لا يقوى على الوسوس مع الذكر، فسرعان ما يبضحه الذكر، ويصير أمامه، أما الخناس الإنسان فيما يبلله من الخزي والذل والصغار إذا قوبل فعله وقوله، بما أمر الله وما نهى عنه من الطاعات، وما به صلاح الناس; فصير بذلك في عين نفسه وعين غيره; فيخنس لهذا الذكر، وهذا القدر من الفعل الذي يلحق كل من يخنس عند الذكر جامع مشترك بين الإنس والجن، كذلك في إقراره على الشر بالتحليل والخفاء والخافث من القول، وعلى ذلك "الشيطان يلقب بالخناس لأنه يتصل بعقل الإنسان وعزمه من غير شعور منه فكأنه خناس فيه، وأهل المكر والخداع والخالت خناسون لأنهم يتحينون غفلات الناس، ويتسترون بأنواع الحيل لكيلا يشعر الناس بهم" (2).

---

(1) الكشف (59/2).
(2) التحرير والتنوير (30/423).
فما يقتضيه معنى الجنس أيضا في لفظ: "الْأَمْرِ" نفس صاحب الوسوسه; فالإنسان تكون أمارة بالسوء; فإذا ذكرها بـ Allaah أو أمره ونواهيه رجعت وارتدعت فالمولى - سبحانه - وتعالى قال بعد هذه الآية السابقة: "وَلَوْ صَنَعَهُ إِلَيْهِ أَفْقَهٌ أَلَّا يُؤْمِنَ بِالْكُحُورَ وَلَيْسَ عَلِيّ وَلَيْسَ رَفِيعٌ ما هُم". فاتباع الأفقة عن الإيمان بالآخرة التي هي عين الغيب، ومحل الثواب والعقاب على ما اقترفه المرء في حياته يجعلها تميل إلى زخرف القول من الجن والسنس، وتغتر كذلك بما تحدثه النفس من الحرص والكبر والحسد وبطش الحق، وكل ذلك يوقع الشرور والفساد بين الناس، وهذا كله لا يدفعه إلا ذكرا خالصا لله يقيقا من الذاكر بأنه ربه ومليكه وإلهه، وإليه الملجا وبه الاعتصام، وهو أحق بأنه يكون مستعدا به من هذا الشر كله، وذلك الوسوسة التي تقتضي كمال الحذر من جنسها بما تدخل فيه من استنزايم كونها مستعدا منها.
جمال الحذر من فعله

وكمما دخل اقتضاء الفاصلة جمال الحذر من جنسه في استلزام كونه مستعذدا منه، كذلك يدخل ما تقتضيه الفاصلة التالية من جمال الحذر من فعله في هذا الاستلزام حيث يترتب على هذا الفعل كل ما يصدر عن الالتوسوس، والالتوسوس له من شر، كذلك محل هذه الالتوسوس وكيفيتها؛ فيتعلق بهذا الفعل ويندرج في سلكه كل شر ينتقل من الالتوسوس إلى الالتوسوس له، ثم انتقل كل شر من الالتوسوس له إلى غيره من الناس.

فمن إحسان النظم في هذه الآية مما تقتضيه الفاصلة على لاحب علاقة التفاصيل بعد الإجمال في معنى استلزام كونه مستعذدا منه استحضار هذه الالتوسوس في الذهن بما أفاه الفعل "يَوْسِفُ" حيث قال: "الذي يوسوس في صدور الناس لتقرب تصوير الالتوسوس كي ينقيها المحرم إذا اعتناته لخفائها"(1) ففي هذه التقرب وذلك الاستحضار بيان لهيئة الالتوسوس وشكله وكأنه متأهل دائما وواصل وسوسته بهذا الشر وكأنه تراه جالما على صدر المحرم يلبق له الشر مرة بعد مرة بما يجعل الالتوسوس له يشيع البغضاء والفحشاء ... وغيرها مما يوقعه الالتوسوس بين الناس من تلك الأمور المنهي عنها؛ كذلك مادة الالتوسوس بما لها من تكرار حتى يقبل الالتوسوس له كلام الالتوسوس وهمسه فهو يؤدها بتكراره فكان هذا الفعل وهو "الالتوسوس الكلام الخفي": إلغاء المعاني إلى القلب في خفاء وتكريما، كما أن الكلمة الدالة عليها "وس" مكررة، وأصلها صوت الحلي، وحديث النفس، وهمس الكلاب، ضعوفة لفظه مناسبة لمعناه لأن الالتوسوس يكرر ما يتفنن

(1) التحرير والتدوير (30/34)
في القلب ويؤكد في خفاء ليقيل (1) فمادة الأفعال نفسها تدل على حرص الموسوس على قبول الموسوس له هذا الفعل ومراده منها فلا يتفكر بقوله فهذا حتى يجعل له المراد وهذا من اقتضاءات هذه الفاصة التي تستلزم
كون هذا الموسوس مما يستعذ منه.

كذلك مما تقتضيه هذه الفاصة من معنى كمال الحذر من فعله دلاًته
على التجد والاستمرار في لفظ الفعل "يوسوس" فهو إذا كان في تكرار فهو
أيضاً يدل على التجد والاستمرار بما تحمله صيغة المضارع من معاني،
وهذا التجد يجعل فيما يوسوس به ذلك الموسوس من أمور يليها
لموسوس له، فهو إذا ينس من قبول الموسوس له من أمر عمد إلى تجديد
وسوسته حتى يلقى القبول من الموسوس له؛ فهذا يدل على تنوع الشرور
وكثرتها لدي هذا الموسوس حتى إذا نجا الموسوس له من شر ما يليه إليه
الموسوس جدد له آخر وهكذا دوالله؛ فهو مستمر في وسوسته مجدد لها
متنوع الشروت التي يليها، لا يبأس ولا يمل حتى يهلك الموسوس له بما
يليه إليه من الشرور، وهذا يعتضي كمال الحذر من هذا الفعل بما يستلزم
كونه مستعذ منه.

كذلك تقتضي الفاصة من المعاني مما له دخل في معنى كمال الحذر
من فعله بيان محل هذه الوسوسة فيما يتعلق بكونها "فَيْ صُدْور أَلْكَاسِب".
حيث تعدد فعل الوسوسة بحرف الجر في " دون غيره كإي مثلاً لكونه أراد
تمكن الوسوسة في صدر الموسوس له أشد تمكن، وذلك للدالع على حرص
الموسوس واجتهاده في بلوغه مراده من الضرر بالموسوس له بما يليه

(1) نظام الدور (22/302).
العدد الخامس والعشرون للعام ١٩٧٠م
الجزء الخامس

إليه من الشر، كذلك من إحسان النظم الشريف فيما يتعلق بإياثار هذا الحرف دون غيره أن الموسوس لا يبلغ المكانة أن يوسيوس في الصدر إلا إذا كان قريبًا محلة من الموسوس له، وإن الموسوس جاثم على صدر الموسوس له متلثب به حتى تنفذ وسوسته إلى داخل صدر الموسوس له، وهو بذلك يدل على اقتراب الموسوس على الموسوس له، وإن صدر الموسوس له يعثر بيد الموسوس ينفث فيه كيف شاء ومتي شاء، وإن صدر الموسوس له أصبح ليس ملكه، وخرج عن تصرفه وإرادته إلى إرادة الموسوس وتصرفه؛ فهو يحلوه ويوجهه كيفما شاء؛ وهذا يقتضي من الموسوس له كمال الحذر من فعل الموسوس بما يستلزم أحقية كونه مستنذزا منه.

كذلك مما تقتضيه الفاصلة من معاني كمال الحذر من فعله بما يستلزم كونه مستنذزا منه فيما يتعلق ببيان محل الوسوسه كونه جعل الوسوسه في وعاء القلب دون القلب وهو الصدر؛ إما لكونه من باب المجاز المرسل لعلاقة المحلية من حيث ذكر الصدر الذي هو محل القلب وأراد القلب من حيث كونه الحال فيه، وذلك “الآن القلب في الصدر، فجاز إقامة الصدر مقام القلب”(١) وإن لأنه - فيما أعلم - وإن كان القلب به يتعلق صلاح البدن وفساده حسا ومعنى بوصفه المضحة التي إذا صلت صلح الجسد كله - وإذا فسست فسد الجسد كله أو كما قال صلى الله عليه وسلم(٢) = فهذا الموسوس بما أوتي من تمكن وتسليط وقيرة على الوسوسه في صدر الموسوس له إلا أنه لا يستطيع أن ينفذ إلى القلب؛ فإن قُلّوب بني آدم بين إصبعين من أصابع

(١) مفاتيح الغيب (٨/١٩٥).

(٢) جزء من حديث النبي صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، “الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (١/٥٠٠).
الرحمن، كقلب واحد، يصرُّقه حيث شاء، وكان يقول الرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعةك(1). فتثبت القلوب على حالة واحدة خاص بالمولى - سبحانه وتعالى - أما ما يعترفها من شرور فهو متعلق بما يحوطهما من وساوس وشرور، وهذا أدعى أن تزول تلك الوساوس بذكر الله فهي عوارض للقلب تتراحم وتتراكم وتتمك، بترك الذكر، أما مع الذكر واستمراره فسرعان ما تزول، وفلا حالة عدم وجودها مع استمرار الذكر والاستعادة، يكون القلب في حسن منها بهذا الذكر؛ وإما أن ما يخص النفس فيما يتعلق بصلاح أحوالها في علاقتها بغيرها من بني جنسها محله الصدر وليس القلب؛ فالقلب مطيعة الروح، والصدر مطيعة النفس قال الرازي - رحمه الله - في تعليقه على قوله تعالى: (2) لله قال: (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) ولم قال: (وَلَا يَحْزَنْنَا عَلَى قُلُوبِهِمَا) وحصل ما في الصدر ولم يقل: وحصل ما في القلوب؟ الجواب: لأن القلب مطيعة الروح وهو بالطبع محب لمعرفة الله وخدمته، إنما المنازع في هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدر، ولذلك قال: (3) فجعل الصدر موضعًا للإسلام(4)، وإما لكون صلاح القلب يتأتي من خارجها وما يحيط بها ويكتنفها قال تعالى: (4) كل بُنَاءٍ على قُلُوبٍ ما

(1) الحديث رواه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما -جامع الأصول- في أحاديث الرسول لمجد الدين ابن الأثير ت 606 - تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - النظمة تحقيق بشير عيون - الناشر: مكتبة الحلوي - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان الطبية - الأولى (7/53).
(2) سورة العدادات آية: 10.
(3) سورة الزمر آية: 22.
(4) مفاتيح الغيب (2/64)
كانوا يجيبون (1) وقالوا: وَقَوْلُهُمْ قَلْوُبًا عَلَّفًا بَلْ طَعَّ عَلَيْهَا ٍ كَذَٰلِكَ هُمْ فَلا تَبَتَّبُونَ إِلَّا قَلِيلًا (2)؛ فهذا يدل على كون القلب يحركها ما يحيط بها، فالصدور مساكن القلوب وأوعيتها وبياناتها، تؤثر فيما يسكنها ويعيش فيها من القلوب، وعلى ذلك فإنهما دهاليز القلوب منها تدخل الواردات إليها (3) فلما كانت الصدور دهاليز هذه القلوب كان غاية الموسوس، وبما أوتر مقدمة لا يستطيع أن ينفذ إلى القلب، وهذا دليل عجزه، فكان ما يلقاه في صدر الموسوس له أقرب للخلاص منه بالاستعاذة والذكر، وهذا يستلزم الاستعاذة خاصة إذا كانت الاستعاذة ممن هو أحق بها: كونه - سبحانه - يملك أمر هذه القلوب، وكان ذلك أيضا دليل هونه على الله، وفي هذه الحالة يقتضى صلاح المرء وخلاصه من الشرر - فيما يتعلق بالوسوة إليه - بحاله مع الاستعاذة والذكر، بمقدار دوامه يكون قربه من الله - سبحانه وتعالى - وبمقدار انقطاعه وبعده تكون هيمنة الوسواس عليه بما يلقيه إليه من الشرور، وهذا يستلزم كونه مستعزا منه فيما تقتضيه هذه الفصلة.

كذلك مما تقتضيه هذه الفصلة من كمال الحذر من فعله فيما يستلزم كونه مستعزا منه - كون هذا الفعل عام في الثقنين الجن والأنس، حيث لا يختص بوسوة الشياطين في صدر الأنف فقط، بل يشمل وسومة الجن للجنس ووسومة الأنفس للأنس; وعلى ذلك كان بعض أقوال أهل العلم فإن بيان لفظ الناس من قوله تعالى: "لَتْ يَوَّسِفُ فِي صُدُورِ اسْتِكْبَارٍ " وذلك إما لاشتراك لفظ الناس بين الجنس والأنس، وإما لكون لفظ الناس بمعنى (1) سورة: المطففين آية: 14.
(2) سورة: النساء آية: 155.
(3) نظم الدرر (22/343).
الناسي اسمًا منقوصًا حذفه ياؤه في حالة الجر، وعلى ذلك لفظ الناس يدل على التلفظ لكونه "كما قال الأمام الخزاعي - رحمه الله - "القدر المشترك بين الجن والإنس، يسمى إنسانا والإنسان أيضا يسمى إنسانا فتكون لفظ الإنسان واقعا على الجنس والنوع بالمشترك، والدليل على أن لفظ الإنسان يندرج فيه الجن والإنس ما روته أنه جاء نفر من الجن فقيل لهم: من أنتم فقالوا: أنا من الجن، وأيضا قد سمّاهم الله رجلا في قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالًا مِّنَ الْإِنْس أَمْسِكُونَهُمْ إِلَّا أَنَّمَّا يُبَيِّنُونَ﴾ \(2\) فجاء أيضا أن يسمىهم هاهنا ناسا، فمعنى الآية على هذا التقدير أن هذا الوسواس الخناس شديد الخنث لا يقتصر على إضلال الإنسان بل يضلل جنسه وهم الجن، فجدير أن يحذر العاقل شره، وهذا القول ضعيف، لأن جعل الإنسان اسما للجنس الذي يندرج فيه الجن والإنس بعيد من اللغة لأن الجن سموا جنا لاجتنابهم والإنسان إنسانا لظهره من الإنسان وهو الإبصار، وقال صاحب الكشاف: من أراد تقرير هذا الوجه، فالأولى أن يقول: المراد من قوله: ﴿وَيُؤْسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ أَيَّ فِي صِدْورِ النَّاسِ كَقُولِهِ﴾ \(3\) وإذا كان المراد من الناس الناسي، فحينئذ يمكن تقديمه إلى الجن والإنس لأنهما هما النوعان الموصوفان بنسيائ حق الله تعالى \(4\) وعلى كلي التقديرات فيمعنى

(1) جزء من حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم من رواية عبد الله رضي الله عنه، المسنجد الجامع - حققه ورتبه وضبط نصه: محمود محمد خليل - الناشر: دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت - الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م (12/107)

(2) سورة الجين آية: 6

(3) سورة القمر: آية: 6

(4) مفاتيح الغيب (378/6/32).
لفظ "آثاثا" فهو يستلزم كونه مستعداً منه، مع اقتضاء الفاصلة كمال الحذر من فعله؛ لتعلق هذه الوسوسة بكل من يلقي الشرور إلى غيره جنأ كان أو أنسا، وأنه لا يسلم من ذلك إلا من حافظ على ذكره الله، مستعداً به من فعل هذا الموسوس.

كذلك على معنى كون لفظ "آثاثا" الناسي لحقق الله تعالى، وهذا يشمل جنس الناسي من الجن والأنس، وأنه لا منجاً لهما من هذه الوسوسة أيا كان من يفعلها إلا بذكر الله - سبحانه وتعالى - وهذه حث ودعوة إلى الاتباع والاعتصام بالله ذكراً واستعذة، لكون فعل ذلك الموسوس مما يستلزم كونه مستعداً منه، بما تقتضيه هذه الفاصلة على لاحق علاقة التفصيل بعد الإجمال في هذه الآيات.
كمال الحذر لتعدد جهته

هذا المعنى مما تقتضيه الفصلة في قوله تعالى: "يَرَى الْجَِّنُونَ وَالْخَيْبَـٰضَينَ" حيث وصل البيان إلى غاية التفصيل بعد الإجمال في رأس المعنى المتعلق باستلزام كونه مستعزاً منه بالرغم من كون هذه الفصلة متعلقة بياناً بالفصلة السابقة، إلا أنها تمثل بيان الجهات التي تأتي منها الوسوساً حتى يكون المرء - من تلزم الاستعزا - أشد حذراً إذا علم تعدد الجهات التي تأتي منها الوسوساً؛ وذلك لكون "من" في هذه الفصلة بيانية لجنس الذي يوسوس باعتبار كونه لا يتعلق بالجن وحدهم، بل إن الذي يوسوس بالشر في صدور الناس كما يكون جنا يكون إنساً، وإن كان الأصل في الوسوساً هم الجن، وهذا بما فيه من حسن التقسيم حيث لا يخرج الوسوسا عن هذين الصفين، فلا ينفك من يوسوس بالشر أن يكون جنا أو إنساً، ومن إحساس النظم أيضاً اشتراك الوسوسا بين الجن للجن والجن للإنس والجن للإنس، فكان قوله - تعالى -: "يَرَى الْجَِّنُونَ وَالْخَيْبَـٰضَينَ" أي الجن الذين في غاية الشر والتمرد والخوفاء "وَالْخَيْبَـٰضَينَ" أي أهل الاضطراب والذبحة سواء كانوا من الإنسان أو الجن، فيكون المعنى أن الجن مسلط بعضهم على بعض كما هم مسلطون على الإنسان، فيدخل شيطان الجن في الجنى كما يدخل في الإنسى ويوسو له "وَالْخَيْبَـٰضَينَ"

وعلى ذلك كان البيان في حرف الجر " من" في قوله: "يَرَى الْجَِّنُونَ وَالْخَيْبَـٰضَينَ" بيانية بينت الذي يوسوس في صدور الناس بأنه جنس ينحل باعتبار إرادة حقيقته، ومجازه إلى صنفين: صنف من الجنة وهو أصله، (1)
وصنف من الناس وما هو إلا تبع وولي للصنف الأول، وجمع الله هذين الصنفين في قوله: {كُلَّا جَعَلْتَ لَهُ بَيْنَ حَمَّامَيْنَ} (1) ووجه الحاجة إلى هذا البيان خفاء ما ينجو من وسوسة نوع الإنسان، لأن الأمم اعتداوا أن يحذروهم المصلحون من وسوسة الشيطان، وربما لا يخطر بالبال أن من الوسواس ما هو شر من وسواس الشياطين، وهو وسوسة أهل نعوم وهو أشد خطرا وهم بالتوعذ منهم أجد، لأنهم منهم أقرب وهو عليهم أخطر، وأنهم في وسائل الضر أدخل وأقدر، ولا يستقيم أن يكون من بيان لنا للناس إذ لا يطلق اسم الناس على ما يشمل الجن ومن زعم ذلك فقد أعدد(2)؛ فكان بيان كمال الحذر لتعدد جهات الوسوس فيما تقتضيه هذه الفائدة مما يتعلق بكونه من الثقيلين جميعاً جنا وانسا، وذلك مجاز في اللفظين على قول الشيخ الطاهر ابن عاشور في كلامه السابق، وهذا مما يتجاذب مع كونه يستلزم الاستعاذة منه.

كذلك مما تقصده الفائدة من كمال الحذر لتعدد جهته كون البيان في حرف الجر " من " متسلاط على حقيقة اللغظين "الأيدي" و"الأذية" وأصلهما في كونهما يدلان على مغنى الخفاء والظهور "أن الجن سموا جنا لاجتنانهم، والناس ناسا لظهورهم، من الإنسان وهو الإبصار، كما سموا بشرا(3)، وعلى هذا الاعتبار في تعلق بيان الوسوسة بمعنى الظهور والخفاء في تلك الوسوسة، وكيف من يوسوس بالشر يخفي هذا الشر أو

(1) سورة الأنعام آية: 112.
(2) التحرير والتنوير (135/6).
(3) الكشف (4/824).
يظهر، فالموسوس يغري الموسوس له بكون ما يلقبه إليه من الشرور إنما هو خير له كما وسوس إيليس لأدم في قوله تعالى: "فَوَسَسَ إِلَىٰهِ أَلَّا يَتَّقَ آتِيَتُنَّ قَالَ يَتَّقُمُّ هُلْ أَذَلِكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخَنْدَانِ وَمَلِكَ لاَ يَتَّقُ "(1) فكان في وسوسه يخفي الشر كله لأدم، وبالرغم من ذلك أغراء بهذه الوسوسه بكونها شجرة الخلد وملك لا يبلى؛ فكان مجنن بشره وراء هذه الوسوسه، وكان صنيع أدم - عليه السلام - وتابعه لهذه الوسوسه حسن ظن منه بأن هذا خيرا له، وعلى ذلك أكثر بني أدم في تاباعهم وسوسه الخفي عليهم من الشر؛ لكونهم في تاباعهم هذا يكونون في اعتقاد جازم أن ما يصنعوه خيرا لهم؛ لخفاه الشر وراء هذه الوسوسة واجتنانه عليهم، وهذا أدعى للاعتصام والانطاج إلى الله أن يقيهم هذا الشر الخفي عليه، كذلك يستلزم كون هذا الموسوس مما يستعذ منه فيما تقتضيه الفاصلة من كون معنى الجنة متعلقا بالستر والخفاء.

أما ما تقتضيه الفاصلة من علاقة التضاد بين "الجَهِلَةُ وَالْكَرِيمَ" مـن كون معنى الناس متعلقا بالظهور والإنسان فقد يدل على كون الشر ظاهرا واضحا من الموسوس للموسوس له؛ فهو يعلم ما فيه من الشر لوضوحه وبيانه، وهو إما لا يستطيع دفعه أو رده من تلقاه نفسه إلا بما عُلّـم من الاستعاذة والذكر الله - سبحان عهده تعالى - أو أن الموسوس له بالرغم من ظهور الشر لديه من قبل الموسوس إلا أن هذا الموسوس الظاهر الشر لديه من القوة والسلطان ما يستطر به على الموسوس له؛ فلا يستطيع الموسوس له الهروب من تلك القوة وهذا السلطان إلا بالانطاج والاعتصام.

(1) سورة: طه آية: 120.
إلى القادر العلي - جل جلاله - وعلى هذا البيان في هذه الفاصلة وما تقتضيه يستلزم كون هذا الموسوس مما يستعاد منه، فيما تجاذبته علاقة التفصيل بعد الإجمال في هذا الاستلزم، والذي يتكامل معاناه فيما تجاذبته علاقة العموم والخصوص في الآيات الثلاثة الأول في استلزم كونه - تعالى - مستعاذا به؛ وكل هذا منشق من رحم المعنى الأم للسورة الكريمة وهو: الاعتصام بالله من كل شر.
الخاتمة

الحمد لله الذي تتم به الصالحات، وبفضله تربو الصدقات وتزداد،
وبكرمه يرفع عباده أعلى الدرجات... وبعد

فقد أسفر البحث عن بعض النتائج الكلية أذكر منها ما يلي:
- ترد السورة الكريمة على دعاء نحو النص بديلا عن نحو الجملة، لكونه أليك في فهم الكلام وتحليله، وأن نحو الجملة لا تتفوي وظيفته ضبط الكلام داخل الجمل الصغير، وأنه لا يعتمد عليه في استناده الكلام. (1)
- كان لاقتصاء المعاني بناء العلاقة في الثلاث الآيات الأول على التدرج من العموم إلى الخصوص فيه مزيد عناية باتساع رحمة الله بعبادة جميعهم، وذلك إذا جئنا إليه وتوجهوا إليه بالاستعازة، ولهذا كان رحمته سبحانه - سبحانه - شاملة لجميع الناس، ممن يتخذه ملكا وربا، وإن كانت أخصر في جانب من يتخذونه إلها، ومنه تكرر لفظ الناس كل مرة مع كل صفة الله - سبحانه وتعالى. (2)
- كذلك كان لاقتصاء المعاني في فواصل الآيات الثلاث الأخيرة في السورة الكريمة في بنائها على علاقة التفصيل بعد الإجمال فضل عناية ببيان جهة الوسوسة، وذلك بما حصل لها من التمكن واللذة بالعلم بها بعد حالة التشوق لهذا العلم عن طريق الإجمال بداية، وهذا أدعى للقبول والامتثال لأمر الله - سبحانه وتعالى - في الاعتصام والاجتاز إليه في الاستعازة كل شر. (3)

(1) البحث ص 7، 12.
(2) نفسه ص 30.
(3) نفسه ص 41.
فهرس المصاد والمراجع
- أسرار العربية لأبي البركات الأتباري ت:۵۷۷ هـ - الناشر: دار الأرقام بن أبي
الأركم - الطبعة: الأولى ۱۴۲۲ هـ/ ۱۹۰۱ م.
- الإرث في علوم القرآن ت:۹۱۱ هـ - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم -
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: ۱۳۸۴/۱۹۶۴ م.
- إعجاز القرآن للباقراني ت:۳۰۴ هـ - تحقيق: السيد أحمد صقر - الناشر: دار
المعارف - مصر - الطبعة: الخامسة، ۱۹۹۷ م.
- الإمام البقاعي جهاد ومثنى تأويله بلاغة القرآن الكريم للدكتور/ محمود توفيق
سعد - الناشر: مكتبة وهة القاهرة، عابدين - الطبعة: بدون.
- البرهان في علوم القرآن للنوركشي ت:۷۸۹ هـ - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم
الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه - الطبعة:
الأولى، ۱۳۷۶ هـ- ۱۹۵۷ م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع
العدواني، البغدادي ثم المصري ت:۵۴۶ هـ - تحقيق: الدكتور حفني محمد
شرف - الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
- لجنة إحياء التراث الإسلامي - الطبعة: بدون.
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشف للزمخشري لجمال الدين
أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزُبيدي ت:۲۲۴۶ هـ - تحقيق: عبد الله بن
عبد الرحمن السعد - الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض - الطبعة: الأولى،
۱۴۱۴ هـ.
- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب ت:۱۳۹۰ هـ - الناشر:
دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة: بدون.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين ابن الأثير ت:۶۱۰ هـ - تحقيق:
عبد القادر الأرنؤوط - التمثيل تحقيق بشير عيون - الناشر: مكتبة الحلواني -
طبعة الملاح - مكتبة دار البيان الطبعة: الأولى.
جامعة المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن لابن كثير ت: ١٧٧٩- تحقيق: دجد—allah الله الديش - الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت، لبنان - الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم نبوي نصر محمد بن فتح بن عبد الله الأزدي: ١٤٨٨ هـ - تحقيق: د. علي حسين البواب - الناشر: دار ابن حزم

لبنان/بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

حوار في روافد أهري للدكتور/ محمود حسن مخلوف - الناشر: مؤسسة

بداري للطباعة، أسيوط - بدون.

خصائص التعبير القرآني وسماته للدكتور/ عبد العظيم المطاني ت: ١٤٢٩ هـ.

الناشر: مكتبة وهبة - الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.


السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربي الحكم الخبير

شمس الدين، الخطيب الشهريبي: ت: ١٩٧٧ هـ – الناشر: مطبعة القاهرة

١٢٨٥ هـ.

شرح المفصل للزمخشري لابن يعيش ت: ١٤٣٦ هـ - قدم له: الدكتور إميل بديع

يعقوب - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.


العذف على أنواع الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة للمؤلف/ محمود توفيق سعد - الناشر: بدون، الحقوق محفوظة للمؤلف - الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.

ملحمة النحو لابن الوراق ت: ١٣٨١ هـ - تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش

الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، السعودية - الطبعة: الأولى، ١٩٩٩ م.

العدد الخامس والعشرون للعام 1412هـ
الجزء الخامس

لسن العرب لابن منصور ت: 1712 - الناشر: دار صادر، بيروت - الطبعة: الثالثة 1412هـ


**فهرس الموضوعات**

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المقدمة</td>
<td>4795</td>
</tr>
<tr>
<td>ملخص</td>
<td>4796</td>
</tr>
<tr>
<td>Abstract</td>
<td>4797</td>
</tr>
<tr>
<td>التمهيد</td>
<td>4800</td>
</tr>
<tr>
<td>1.</td>
<td>أولا: خصائص السورة.</td>
</tr>
<tr>
<td>2.</td>
<td>ثانيا: العلاقة بين المعنى والناصِلة.</td>
</tr>
<tr>
<td>3.</td>
<td>ثالثا: العلاقة بين المعنى والوقف.</td>
</tr>
<tr>
<td>4.</td>
<td>رابعا: العلاقة بين المعنى والإعراب.</td>
</tr>
<tr>
<td>5.</td>
<td>الفهشط الدصبدس والدشاجع.</td>
</tr>
<tr>
<td>6.</td>
<td>الفهشط الدىضىعبد.</td>
</tr>
</tbody>
</table>

المبحث الأول: تجاوِبة العلاقة بين الإجمال والخصوص وما يستعبر به وبين ما تقضيه الناصِلة من:

<table>
<thead>
<tr>
<th>المبحث الأول</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>7.</td>
<td>4817</td>
</tr>
</tbody>
</table>

المبحث الثاني: تجاوِبة العلاقة بين الأجزاء والتفصيل وما يستعبر به وبين ما تقضيه الناصِلة من:

<table>
<thead>
<tr>
<th>المبحث الثاني</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>8.</td>
<td>4818</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>كمال الثبط والتربية</th>
<th>4819</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>كمال الفناد والقدرة</td>
<td>4820</td>
</tr>
<tr>
<td>كمال التضرع والقربى</td>
<td>4834</td>
</tr>
</tbody>
</table>

المبحث الثالث: تجاوِبة العلاقة بين الحذر من جنسه، الحذر من فعله، الحذر لتعدد جمهوره، فهشط المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات:

<table>
<thead>
<tr>
<th>المبحث الثالث</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>9.</td>
<td>4840</td>
</tr>
<tr>
<td>10.</td>
<td>4851</td>
</tr>
<tr>
<td>11.</td>
<td>4858</td>
</tr>
<tr>
<td>12.</td>
<td>4862</td>
</tr>
<tr>
<td>13.</td>
<td>4866</td>
</tr>
</tbody>
</table>